# (٢٢) الكبر

## وما يلازمه من خلال العظمة الكاذبة

الكبر وما شاكله مهلكات . نشأة الانسان ومنتهاه . نتائج الكبر عكسية . إعجاب المرء بنفسه يفسد دينه كما يفسد دنياه فضلا عن أخراه . وبيان ذلك ودليله المعجب بنفسه جاهل وإن كان عالماً . العزلة والكبر والفرق بينهما . تحليل لأسباب الكبر عند المتكبرين ، وبيان لفساد هذه الأسباب . الدواء الناجع للكبر .

---

قال الله تعالى : « ولا تمش في الأرض مرحاً . إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا » .

. . . الكبر . والعجب . والاختيال . والتيه . والزهو . والتعالى . والتعاظم . أسماء واقعة على معان متقاربة . هى إعجاب المرء بنفسه . واستحسان مافيه من الخلال . والاستهانة بالناس واستصغارهم . والتعالى على من يجب التواضع له : وهذا الخلق ضار بصاحبه يدل على غروره ونقص عقله . واستيلاء الشيطان على قلبه .

فلو فكر العاقل فى شأنه وحياته وما آله وأنه خلق من نطفة مذرة . وبعد الموت يصير جيفة قذرة . لو فكر فى ذلك ماهز عطفه عجباً . ولامشى اختيالا .

وكيف يخدع المرء ويتعاظم على العباد وهو يعلم أن الكبر يكسب المقت من الناس والبغض من الله ؟ ! !

وليس من صفة تنتج عكسها إلا الكبر . فكلما تكبر المرء وتعالى على الناس كلما انحطت منزلته فى نفوسهم ، وأصبح بغيضاً الى قلوبهم : وكلما

تواضع وحسنت أخلاقه — ارتفعت منزلته فى قلوب أحبائه ومعاشريه — ونال رضى الله بفضل تواضعه .

قال رسول الله ﷺ ( إن الله أوحى إلىّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ، ولا يبغى أحد على أحد )

وقال حكيم :—

تواضع تكن كالنجم لاح لناظر * على صفحات الماء وهو رفيع
ولا تك كالدخان يعلو بنفسه * إلى طبقات الجو وهو وضيع

فاعجاب المرء بنفسه يفسد دينه كما يفسد دنياه ، فضلا عن فساد آخرته .

فأما فساد دينه فانه يكون سبباً فى ردّ عمله عليه لمنازعته للجبار الأعلى فى صفة اختص بها ولم يسمح لأحد من خلقه أن ينازعه فيها .

قال الله تعالى : ( وله الكبرياء في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم )

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ يقول الله عز وجل : العز إزاري والكبرياء ردائى ، فمن نازعنى شيئاً منهما عذبته .

وأما فساد دنياه ، فلأنه ينفر الناس عنه ، فيعيش بغيضاً وحيداً ذليلا لا يجد مؤنساً يؤنسه — ولا صديقاً مخلصاً يجالسه — وإن أمرا يترتب عليه خسارة الدنيا والدين ، ويكون صاحبه يوم القيامة من الخاسرين ، لهو الضلال المبين ، والعذاب المهين .

عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر .

وقال عليه الصلاة والسلام يحشر المتكبرون يوم القيامة في مثل صور الذر يطؤهم الناس ذرا في مثل صور الرجال — يعلوهم كل شيء من الصغار .

ثم يساقون الى سجن جهنم .

فهذا قليل من كثير مما أعده الله تعالى للمتكبرين المعجبين — الذين نفخ الشيطان في أنوفهم ، فمشوا مشية الخيلاء يتيهون بأنفسهم عجباً وتيهاً كأنما لهم في أعناق الناس أطواق النعم .

وأنت لو نظرت أيها المسلم بعين الحقيقة إلى هؤلاء لعلمت أن سبب عجبهم وكبرهم إنما هو شعورهم بالنقص في أنفسهم . فهم بحاجة إلى شيء يكملون به هذا النقص ، فيتعاظمون وينقبضون عن الناس في صور الأعزاء والحقيقة أنهم يخافون افتضاح أمرهم — ومعرفة الناس بنقصهم ، فيتخذون الكبرياء حاجزاً بينهم وبين الناس حتى يخفى هذا الضعف الذي به يشعرون وله ومن أجله يستكبرون .

وهنالك فرق بين الكبر وبين الانقباض عن الناس واعتزالهم . فان الانسان إذا اعتذل الناس إتقاء لشرهم — وهربا من الغيبة والنميمة التي أصبحت محور مجالسهم وأغلب حديثهم — وقابلهم بالانقباض حشمة وهو لا يضمر في قلبه احتقاراً لهم ولا عتواً عليهم — بل يرى أنه أقل الناس عملا ، إذا اعتزل الناس لهذه الأشياء وما شاكلها فلايعد متكبراً ولا يناله إثم المتكبرين . بل ربما كانت العزلة في بعض الأحوال واجبة إذا تحقق المرء أن الاختلاط بالناس موجب لارتكاب الخطايا ولم يكن له قدرة على إرشادهم ، وردّهم عن غيهم وضلالهم .

ألا وإن إعجاب المرء واستشعاره الكبر لا يعدو أن يكون بأسباب خارجة عن ذاته وشخصيته كالمال ، والجاه ، والأصدقاء وسعة الثروة ، ورخاء العيش أو أن يكون لصفة في نفسه كالعلم والعمل والذكاء والفطنة والفصاحة والبلاغة والنبوغ في العلوم والمعارف على اختلاف أنواعها . ومجمل هذين السببين

لايستوجب كبراً ولا عظمة لأن ما كان منفصلاً عن الانسان فهو معرض للزوال وما كان معرضاً للزوال فلا خطر له إلا عند ضعفاء العقول وسفهاء الأحلام .

وأما ما كان متصلا بالانسان من علم ومعرفة وذكاء وما الى ذلك فلا قيمة لصاحبه الا اذا كان يعلم قبل كل شيء أن ما أحاط به من العلوم — وما منحه من الذكاء — وما حلى به من العلوم والمعارف — كل ذلك نعمة من نعم الله عليه لافضل له فيه . فكيف يكون سبباً فى كبريائه ؟ !! فاذا تكبر والحالة هذه كان كبره دليلا قاطعاً على جهله وعدم تقديره نعمة الله عليه : ومن كان كذلك فلا وزن لعلمه ، ولا قيمة لفضله وعقله : فلا يجتمع عقل صحيح ، وعلم نافع مع كبرياء واستعلاء .

والعلاج الناجع للكبر والمتكبرين أن ينظر ذلك المتكبر الى نشأته ومبدئه فيرى أنه كون من ماء مهين تشمئز منه النفس وتعافه — وينتهى بعد طول الأجل الى جيفة قذرة تعافها النفوس ، وتتقزز منها ، ثم أنه لا ينسى وهو في ثياب عظمته الفاخرة ، يحمل فى بطنه العذرة : فأى سبيل للكبر لمن كان كذلك ! !

إذا تناسى ذلك إنسان وتكبر وتعاظم فليذهب الى المقابر حيث العظام النخرة ، وحيث المستقر والمستودع فيرى العظماء والفقراء والأقوياء والضعفاء . براهم وقد اختلطت عظامهم وجماجمهم — وتساوى عزيزهم بذليلهم ، وملوكهم بصعاليكهم . فيردد قول القائل .

وحتك لو كشفت الترب عنهم ... لما عرف الغني من الفقير

ولا من كان يلبس ثوب قطن ... ولا البدن المنعم بالحرير

هذا فان لم تتأثر نفسه بتلك المشاهد ولجت في عتوها فليعلم أنه قد كتب

عليه الشقاء ، وأنه لاعلاج له ولا دواء ، وأنه قد أضله هواه . ومن أضله هواه فمن الرشد أعماه : لأنه اتخذ إلهه هواه فأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله !! ومن يضلل الله فما له من هاد

نسأل الله تعالى أن يحلينا بخلق التواضع المحمود ، حتى ننال عنده غاية المقصود .

## (٢٣) الرشوة وأخطارها وآثارها

مهمة الحكومات فى الأمم تنفيذ العدل والشرائع السماوية والوضعية بين الناس . قبول الموظف الرشوة يفسد نظام الحكم فيما عهد اليه فيه . الراشى والمرتشى مجرمان أثيمان . وبيان ذلك . انتشار الرشوة فى الأمم يسبب فساد الأخلاق وإضاعة الكرامة وهدم أركان العدل وبث العداوة والبغضاء بين أفراد المجتمع . عقاب الرشوة فى الدنيا . عقاب الرشوة في الآخرة . المرتشى خسيس النفس وضيع القدر وبيان ذلك . الرشوة فساد لميزان العدل الذى قامت عليه السماوات والأرض وقام عليه عمران الكون والمجتمع . موازنة بين حال السلف الصالح وحال الناس الآن فى تحرى العدل فى كل الأمور .

انتشار الرشوة بين الطبقات من الأمة ضرر على المجتمع الانسانى الرشوة سبب بلاء الشرق كله .

---

قال الله تعالى : « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالاثم وأنتم تعلمون » .

. . . أرشد الله الأمم الى نظام يكفل لها حياتها ، ويضمن لها الأمن والطمأنينة حتى لايعتدى قوي على ضعيف ، وحتى لا تسود الفوضى : وذلك بأن أرشدهم إلى إقامة حكومة منهم تنفذ العدل والشرائع السماوية والوضعية : « ولولادفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض . ولكن الله ذو فضل على العالمين »

والأصل فى الحكومات أن يقوم رجالها على إقامة العدل بين الرعايا : فالذى يقبل الرشوة من الموظفين العاملين على خدمة الجمهور يكون قد أخل بأوامر الله . وأفسد نظام الحكم فيما عهد اليه فيه .

الراشي والمرتشي مجرمان أثيمان . يدفع الأول أجراً على فساد العدل ويأخذ الثانى أجراً على الاخلال بالأمانة التى عهد اليه القيام عليها : والمال الذي يأخذه المرتشي سحت ونار يعاقب عليه عقاباً أليما : لأنه يهدم شريعة قام عليها ركن العدل بين الناس .

مثلا : وظيفة خلت فى أعمال الحكومة وتقدم اليها الطالبون الذين يرون في أنفسهم الكفاية : فاذا ساعد رئيس من رؤساء العمل الحكومي أحد المتقدمين لقرابته أو لمال أخذه منه ، أو لقضاء مصلحة تعود عليه فهو آثم . يحاسب على إثمه في الدنيا وفى الآخرة .

كذلك إذا قبل موظف الاهمال في عمل مقابل هدية أو مال فهو آثم لأنه باهماله أضر بمصلحة عمله .

وعلى هذا القياس كل من يقبل مالا لقاء تفريط في عمل وجب عليه عمله أو لقاء نفع أحد لايستحق النفع خفية فذلك كله من باب الرشوة .

ومتى انتشرت الرشوة فى قوم أفسدت أخلاقهم ، وأضاعت كرامتهم . وهدمت أركان العدل بينهم : وبثت العداوة والبغضاء فى أنفسهم : فكم جرائم ارتكبت ، وقتلى ضاع دمها ـ وما كان لذلك من سبب الا الرشوة .

أما اذا عمت الأمانة الناس وعرفوا أن الرشوة يعاقب عليها فى الدنيا بالسجن والرفت وما الى ذلك . فضلا عن الخزى فى الآخرة ودخول النار والفضيحة . إذا عرفوا ذلك ارتدعوا وحرصوا على حفظ كرامتهم وعلى دينهم وسلامة دنياهم .

المرتشى خسيس النفس . وضيع القدر . لأنه يأخذ أجرا خفياً كأنه سرقه مما ائتمن عليه : والراشى طامع فيما لايستحق ـ يريد أن ينال بالمؤامرة التى عقدها مع المرتشى ماليس له بحق .

وباب الرشوة كثيرا ما يسلب الناس أموالهم ـ ويفسد ضمائرهم : وهى فضلا عن ذلك تقدم من يستحق التأخير ـ وتؤخر من يستحق التقديم : فهى فساد لميزان العدل الذى قامت عليه السماوات والأرض . وقام عليه عمران الكون والمجتمع .

كان المسلمون في الصدر الأول يتحرون العدل فى كل أمورهم : أما نحن فاذا رأينا من يتحرى العدل بيننا عددناه غريباً — لأن الفضائل ذهبت أدراج الرياح ـ وحلت محلها الرذيلة في أبشع مظاهرها .

وأقوى دليل على هذا أن أمم الشرق كانت ولا تزال في تأخر ولا سيما من كان منها متصلا بأمم الغرب .

وما سبب تأخرها إلا الرشوة يأخذها عظماؤها من الغاصبين لبلادهم ويقدمون لهم أوطانهم لقمة سائغة متى أخذوا مالا جماً اقتنوا به الضياع الواسعة

والجاه المريض : (إلا من عصم الله) فقد أصبح الشرق وفيه رجال أطهار خدموا بلادهم طاعة لله وحباً للوطن ـ فنالوا من الناس عاطر الثناء ومن الله خير الجزاء

انتشرت الرشوة حتى فى الأعمال الصغيرة . فهذا تاجر يهبط القرى لشراء محصول قطن أو أرز أو وغير ذلك من المحاصيل الزراعية ، ويهرع إليه شياطين هذه القرى . ويأمرون بالأهالى . ويبيعون محصول أهل قريتهم بأقل مما يجب أن يباع به ـ وذلك لقاء مبلغ يتقاضونه من التاجر .

وهذا ( سمسار ) يخفى على الناس أثمان سلعهم ليشتريها دون ما تستحق ويأخذ هو الفرق بين الثمنين (الصحيح والباطل) زيادة على اجره الذي يأخذه عادة

وهذا يدعى ( إلى شهادة حق ) فما هى إلا أن يتصل به الظالم فيبدل الحق باطلا ، أو يكتم الشهادة فيضيع حق المظلوم لقاء فائدة أو لمجاملة الظالمين، أوغير ذلك من الأسباب المعروفة ، التى أصبحت بين الناس مألوفة .

وهذا ( يخالف أوامر الحكومة ) أو يترك الناس يخالفونها ، لقاء رشوة يأخذها .

وهذا ( يكتم الجرائم الشائنة ) كالسرقات ، وهتك الأعراض، فلا يبلغها لذوي الشأن متى أخذ رشوة من السارقين والمرتكبين . فتنتشر السرقات . لأن اللصوص عرفوا كيف يحولون بين جرائمهم وبين رجال العدالة .

وكم من قتيل عرف قاتله وذهب دمه هدراً . وكم من زروع اتلفت وعرف تالفوها وذهبت ضحية الرشوة . وكم حق انخفض . وكم باطل ارتفع . وكان الخافض والرافع هو الرشوة . وكم ..... وكم ..... مما لا يأتى عليه العد . ولا يحيط به الحصر .

فبلاء الشرق كله الرشوة . هي المعول الهدام للأخلاق وللأمن وللفضائل

وللدين . هي شر مستطير ، وبلاء كبير ، فلعنة الله على الراشين والمرتشين .

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : لعن رسول الله ﷺ الراشي والمرتشي في الحكم .

( رواه الترمذي وحسنه وابن حبان في صحيحه والحاكم ، وزاد «والرائش» يعني الذي يسعى بينهما ) .

وروى الطبراني عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ الراشي والمرتشي في النار .

أبعدنا الله تعالى عما يوجب سخطه ، وقربنا مما يستوجب رضاه ، إنه أهل التقوى وأهل المغفرة .

## ٢٤ الغش في البيع والشراء

مناقضة الغش في البيع والشراء للمروءة والدين . الاسلام رابطة إخاء . حكم الغش شرعا ودليله . كتمان عيب البيع أقبح ضروب الغش . الربح الحلال والحرام ومغبة كل . استشهادات دينية في معنى ذلك وحكاية حال . المصراة وحكمها وجشع البائعين . ماارتكبته جماعة التجار في ظروف الحرب من الاحتكار ورفع الأثمان وإخفاء السلع . الحكومة ومناهضتها للسوق السوداء . تقريع وبيان لخروج الغاش من عداد المسلمين .

---

قال الله تعالى : يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم .

. . . الغش في البيع والشراء من أقبح الصفات وأبعدها عن المروءة والدين

لأن الله تعالى جعل دين الاسلام رابطة إخاء وإخلاص فلا يحل لمن يتجر في شيء أن يخدع الناس فيه ويغشهم . فقد روى مسلم وابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ مر على صبرة طعام (١) فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللا . فقال : ما هذا يا صاحب الطعام : قال : أصابته السماء (٢) يارسول الله . قال : أفلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس . من غشنا فليس منا .

ويثبت على البائع أنه غش فى البيع إذا كتم فيه عيباً يعرفه ولم ينبه عليه المشتري حتى يكون على بينة منه : ومن ظن أنه ببيان مافي البيع من عيب يقنع على نفسه ربحاً محققاً فهو مخطىء . بل إنه إن نصح للمسلمين بارك الله له فى ربحه وإن كان قليلا .

وعلى عكس ذلك إذا كتم العيب فيما يبيعه كان كمانه سبباً فى خسرانه . وجدير بأن لايبارك الله له فيما أخذه من مال . بل إن ذلك ليكون سبباً فى أن يسلبه الله أضعاف أضعاف ما أخذه . لأنه غرر بالمسلمين . وخالف سنة سيد المرسلين .

ويدل على وجوب النصح باظهار العيوب ما روى أن النبي ﷺ لما بايع جريراً على الاسلام ذهب لينصرف فجذب ثوبه واشترط عليه النصح لكل مسلم . فكان جرير إذا قام الى السلعة يبيعها لأحد بصره عيوبها ثم خيره وقال : إن شئت فخذ وإن شئت فاترك . فقيل له : إنك إن فعلت مثل هذا لم ينفذ لك بيع . فقال : إنا بايعنا رسول الله على النصح لكل مسلم .

وروى البيهقي والحاكم . عن أبي سباع : قال : اشتريت ناقة من دار

---

(١) طائفة من الطعام (٢) المطر

واثلة بن الأسقع . فلما خرجت بها أدركني يجر إزاره فقال : اشتريت ؟ قلت : نعم . قال : أبين لك مافيها . قلت وما فيها ؟ قال : إنها لسمينة ظاهرة الصحة . قال : أردت بها سفراً أو أردت بها لحماً ؟ قلت : أردت بها الحج . قال : فارتجعها . فقال صاحبها ماأردت إلى هذا أصلحك الله تفسد علي ؟ ! ! قال : إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لايحل لأحد يبيع شيئاً ألا يبين ما فيه . ولا يحل لمن علم ذلك أن لايبينه (١) » .

وعن صفوان بن سليم أن أبا هريرة رضي الله عنه مر بناحية الحرّة (٢) فاذا إنسان يحمل لبناً يبيعه . فنظر اليه أبو هريرة فاذا هو قد خلطه بالمـــاء . فقال أبو هريرة : كيف بك إذا قيل لك يوم القيامة خلص الماء من اللبن ؟ ! !

ومما يروى من نوادر عمر بن الخطاب رضي الله عنه أثناء تفقده لرعيته ليلا أنه سمع امرأة تقول لابنتهـا : قومي امذقي اللبن بالماء(٣) فقالت البنت ألم تسمعي ياأمي ما كان من نداء عمر بتحريم مذق اللبن بالمـاء ؟ فقالت الأم : إنك بمكان لايراك فيه عمر ولا منادي عمر . فقالت البنت : أنا لا أطيعه في الملأ وأعصيه في الخفاء . فأعجب عمر بجوابها . وابتهج بنفسها العالية وإسلامها المتين . فزوجها لأحد أولاده فكان من نسلها سيدنا عمر بن عبد العزيز الخليفة العادل المشهور .

ومن الغش وعدم النصيحة أن يترك التاجر حلب ماشيته حتى يجتمع اللبن في ضرعها ليوهم الناس أنها كبيرة الضرع غزيرة اللبن . فيغتروا بها ويشتروها

(١) لعل في ذلك عبرة لأعوان السوء الذين يتآمرون على إخفاء العيب ولو اسة صحتهم لاينصحون

(٢) بفتح الحاء وتشديد الراء . أرض بظاهر المدينة بها حجارة سود : يومها مشهور في الاسلام

(٣) اخلطيه به .

بأكثر مما تستحق . وهذا وما شابهه خداع وتغرير وتمويه وإخفاء للحقيقة : والدين الاسلامى الحنيف ينهى عن الغش والخداع — ويأمر بالصدق والصراحة والنصيحة .

هذا . وليس للتاجر أن يغتر غفلة الجمهور وقلة خبرتهم بالبضائع وأسعارها فيرفع ثمنها طمعاً في الربح الكثير منها أو يخفيها ولا يظهر منها إلا القليل ليتحكم في الثمن كما يشاء فيرغم الناس بدوافع الضرورة على النزول على حكمه . وهذه هى مضار ( السوق السوداء ) التى عنيت الحكومة بمناهضتها فسنت لها القوانين الرادعة . فقد رفع التجار أثمان الحاجيات مع وفرتها فى القطر المصرى بدون مسوغ ولا مبرر لهم في ذلك غير الطمع والجشع .

ولقد أحسنت حكومتنا المصرية الرشيدة صنعاً حيث سنت القوانين الصارمة لردع هؤلاء الذين يطمعون في أموال عباد الله ، ولا يخافون من الله ، ولا يبالون بسخط الناس .

وكان الواجب على هؤلاء التجار في مثل هذه الظروف « رحمة بالناس » أن يكتفوا بالربح القليل ، وأن يخففوا على إخوانهم ومواطنيهم مايلاقونه من ويلات الأزمة المالية الشديدة التى حلت بهم ، وأن يصدقوا في السعر ولا يبالغوا فى تقدير الثمن حتى لا يكونوا خائنين

ولله در من قال : من باع أخاه شيئاً بدرهم وهو لا يرضى به لو اشتراه لنفسه إلا بنصفه فقد ترك النصح المأمور به فى المعاملة . ولم يحب لأخيه مايحب لنفسه .

فكيف يعلم المؤمن أن الغش للناس بكافة أنواعه وضروبه يخرجه من

حظيرة الدين — ويدخله في سخط رب العالمين — ويقدم عليه وهو مسوق بشهوة الدنيا والطمع فى حطامها ؟ ! !

نسأل الله تعالى أن يجمل نفوسنا بالقناعة — وأن يبعدنا عن مزالق الهلكة — وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه — إنه رءوف بالعباد .

## (٢٥) الظلم وآثاره ونتائجه

تعريف الظلم . العلة المانعة من الظلم أنواع يختلف بعضها عن بعض . الظلم من مستلزمات النفس لا يطفىء لهبه إلا الدماء والسلب . التاريخ أصدق مخبر على أن الظلم مبيد الممالك ومذل الشعوب . الظلم أنواع شتى وصوره متعددة . المشاكل الدولية والخلافات العائلية كلها على اختلاف أنواعها أثر من آثار الظلم . لا يفلت الظالم من جزاء ظلمه دنيا وأخرى . عاقبة الظلم خراب العمران وخراب البيوت . الظلم سبب في هلاك مرتكبيه . ودليل ذلك من الكتاب .

قال الله تعالى : « إنا أعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها . وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه . بئس الشراب وساءت مرتفقا » .

. . . الظلم مجاوزة الحد والخروج عن طريق الحكمة : وهو صفة غريزية من صفات النفس البشرية . كمين كمون النار فى الحجر . تظهره القوة ويخفيه الضعف . ويترتب عليه آثار يمقتها الله تعالى . ولهذا أعد للظالمين عذاباً أليما .

والظلم من شيم النفوس فان تجد * ذا عفـــة فلعـــلة لا يظلم

والعلة المانعة من الظلم إما أن تكون خوفاً من الله تعالى . أو خوفاً من الناس — أو حياً فى مظهر العدل . أو عجزاً .

فكم من نفوس تتوق الى الظلم فتدفعها التقوى . قالت عائشة رضى الله عنها وقد أغيظت : لله در التقوى فانها ماتركت لذى غل شفاء .

وكم من نفوس طاغية لولا رهبتها من القانون وعقابه — أو من الانتقام ممن اعتدت عليه ولو غيلة ما كفت عن الظلم .

وكم من نفوس لايحول بينها وبين الظلم إلا رغبة ملحة في ظهورها بين الناس بمظهر العدل .

وكم من نفوس لايحول بينها وبين ارتكاب الظلم إلا عجزها وضعفها . وهذه العلة هي الغالبة على الناس ولولاها لما وقف الظلم عند حد .

والمدفوع بهذه العلة يتحين فرصة القوة ليرتكب ظلمه يشفى به غليلا ويروى به ظمأ .

والظلم من مستلزمات النفس . لأن الانسان إذا استشعر من نفسه قوة ولم يكن لها رادع يردعها « من عقل زاجر أو دين قاهر — أو سلطان قادر » جمحت فى غلوائها ـ وتغالت في طغيانها ـ فلا يهدأ ثائرها إلا إذا ولغت فى الدماء ـ وتعدت على الأنفس والأموال ـ وتلذذت بسلب الغير ـ واستولت على ماليس لها بحق .

ولهذا كانت صفة الظلم من الصفات التى تفضى بصاحبها الى الكفر بالله تعالى من حيث لايشعر : لأن البطش واليأس يعمي بصيرته عن الهدى — فيرى

أن كل مايستطيعه حل له : وبذلك يفسد نظام العالم القائم على سنن العدل والانصاف — وتسود بسببه الفوضى بين الناس — فيأكل قويهم ضعيفهم — ويستعبد طالحهم صالحهم — فيستوجب الظالم بذلك خزى الله وعذابه : ولا يلبث الطاغون أن يصيبهم الله تعالى بعذاب من عنده ، أو على أيدي غيرهم من العباد — فيصبحوا أذلاء بعد عزهم — فقراء بعد غناهم .

هذا ومن سنة الله سبحانه وتعالى في الأرض أن الملك يدوم على الكفر مع العدل ولا يدوم على الاسلام مع الظلم .

والتاريخ أكبر شاهد . وأصدق مخبر . لأنه لايحابي ولا يداجي . فانك إذا سألته عن المدنية الاسلامية وكيف نشأت . وكيف بادت ، بل اذا سألته عن المدنيات القائمة في الأرض ، والتي قامت من قبل ، وفتشت عن الأسباب التي دالت بها هذه الدول وبادت بها تلك المدنيات — إذا سألته عن ذلك كان جوابه جواباً واحداً . هو أن هذه المدنيات خلت من روح العدل — وانتشر فيها وباء الظلم . فكان حقاً على الله أن يمحوها من الوجود ويبدل بها خيراً منها .

وفي مدنية العرب بالأندلس « غرباً » ومدنيتهم ببغداد « شرقاً » وكيف بادت وأصبحت طعمة للطامعين ، ولقمة سائغة للمستعمرين والمغيرين ، ما يفسر لك العلة في انهيارها وزوالها . تلك سنة الله التي قد خلت من قبل . ولن تجد لسنة الله تبديلا .

والظلم أنواع شتى : ويعظم خطره باعتبار أثره فمن حمل نفسه على المكاره وزج بها في غمار المهلكات ولم يرع لها حقاً فهو ظالم لنفسه ولو كان ذلك في الطاعات

فقد قال النبي ﷺ لعبد الله بن عمرو بن العاص لما بلغه أنه يصوم النهار ويقوم الليل ـ لا تفعل : فان لجسدك عليك حظاً . ولعينيك عليك حظاً . وان لزوجك عليك حظاً . صم وأفطر

ومن شغلته الدنيا عن الآخرة وترامي في أحضانها . واستمرأ مرعاها فهو ظالم لنفسه .

ومن تعدى حدود الله تعالى أو قصر في أداء ما أوجبه الله فهو ظالم لنفسه .

والرجل الذي يقسو على أولاده ، أو يهمل أمر تربيتهم حتى ينشأوا عاطلين عن الكسب فهو ظالم لهم .

والرجل الذي يسيء معاشرة زوجته حتى تدب بينهما عقارب العداوة والشحناء فتجعل من حياتهما جحيما لا يطاق — وتفكك روابط الأسرة ـ ويرث الرجل من وراء ذلك كراهية الأبناء . فهو ظالم لنفسه وأهله وولده : الى غير ذلك من مجاوزة الحد فيما ينبغي أن يقف فيه الانسان موقف العدل .

وأكبر أنواع الظلم على الاطلاق هو الشرك أو الالحاد : إذ أن من أشرك أو ألحد فقد أهلك نفسه هلاكا أبدياً : قال تعالى : « إن الشرك لظلم عظيم » وقال جل شأنه « إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار » .

ألا وإن المشاكل القائمة بين شعوب البشرية اليوم والخلافات العائلية على اختلاف أنواعها : والنار المتأججة في نواحي الأرض . والملايين من الأرواح التي تأكلها نيران الحروب الطاحنة أكلا وتحصدها المدافع حصداً ، وتعطرها الطائرات وابلا من الموت الزؤام . كل أولئك أثر من آثار الظلم : وسببه

الانحراف عن جادة الحق والعـــدل : وما العدل بين الشعوب إلا المساواة فى المعاملات والتجارات .

على أنك اذا نظرت الى أهل هذا البـــلد الواحد وأحببت الوقوف على أسباب محبة بعضهم لبعض — أو معاداة بعضهم لبعض — لوصلت الى نتيجة واحدة . هي أن الأسر التى فيها شيء من التسامح ومراعاة العدل والانصاف . والبعد عن الظلم والاعتساف — هي التى تشاهد بينهـــا الألفة والمودة والمحبة . وأن التى يغلب عليها الأثرة وحب الذات هى التى ينشأ بينها التباغض والتحاسد .

ولو أن الناس جانبوا الظلم واستشعروا العدل فيما يأتون ويذرون لعاشوا فى دعة وراحة وأمن واطمئنان .

وقد أعد الله للظالم « مهما كان ظلمه » عقاباً يتناسب مع الظلم الذى ارتكبه . وفى الغالب ينفذ جزاء الظالمين فى الدنيا — خزياً وذلة — ويدخر لهم شديد العقاب فى الآخرة .

وأنت إذا فكرت فى نهاية كل ظالم وما صارت اليه عاقبته . رأيته وقد انتهت حالته بالذل والفقر — وتبدل عزه وجبروته بالمسكنة والقهر — سنة الله التى جرى عليها مع الظالمين — ولن تجد لسنة الله تحويلا .

فمن شاء ألا يرى فى نفسه ولا فى ذريته من بعده مكروهاً — وألا يرى ماجمعه من الدنيا نهباً مقسما فليبتعد عن الظلم — لأن الظلم ظلمات يوم القيامة والظلم مرتعه وخيم ، ووصفه ذميم ، كم خرب بيوتاً عامرة وقصم ظهورا الجبابرة قال تعالى فى وصف جزاء الظالمين بما عملوا : « فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا » .

ومن غريب الأمر في مسألة الظلم أنك لاتلقى ظالماً متغطرساً قد مدّ له في حبال ظلمه الى النهاية . بل لابد من أن يسلط الله عليه من هو أظلم منه وأشد عتواً يذيقه من الذل والهوان أشد مما أنزله بغيره وأذاقه لسواه .

وقد تداولت الحكمة الآتية على ألسن الحكماء والأدباء فقالوا :

وما من يد إلا يد الله فوقها * وما ظالم إلا سيبلى بأظلم

وقصارى القول أن الله تعالى جعل الظلم سبباً في هلاك الظالمين وعد هلاكهم نعمة تستحق حمده ، وتستوجب شكره ، فقال : « فقطع دابر القوم الذين ظلموا . والحمد لله رب العالمين » .

وقانا الله تعالى بحمايته من عسف الظالمين ، وكيد الماكرين .

## (٣٦) التسول

تعريف العفة . العفة وسيلة للغنى . التسول مذلة وضعة ، وخسة ودناءة . التسول مع القدرة على العمل جريمة . المتسولون والحكومات . استشهادات دينية . العمل لكسب الرزق فضيلة . عمر بن الخطاب والسائل . خير ماينفق فيه المال .

. . . قال الله تعالى : « وما تنفقوا من خير فلأنفسكم . وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله . وما تنفقوا من خير يوف إليكم وأنتم لاتظلمو . للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله لايستطيعون ضرباً فى الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف . تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافاً . وما تنفقوا من خير فان الله به عليم .

. . . العفة فضيلة من أجل الفضائل . وهى عدم التطلع لما فى أيدي الناس والقناعة بما ساقه الله الى العبد من رزق : فمن استغنى عن الخلق أغناه الله . ومن فتح على نفسه باباً من المسألة فتح الله عليه أبوابا من الفاقة والاحتياج : فمن أراد أن يوسع الله عليه فى رزقه وييسر له أمره فعليه أن يستشعر القناعة والتعفف عما في أيدي العباد . فقد ورد : « المسألة آخر كسب الرجل » .

والتسول مذلة وضعة ، وخسة ودناءة . فمن رضيت بذلك نفسه وتطلع الى مافى أيدى الناس وسألهم فقد سقطت منزلته بينهم ، وهان عليه أمره ، وصار غرضاً لسهام الناقدين ، ولوم اللائمين .

وما دام الانسان يستطيع أن يكتسب الكفاف من الرزق بعرق جبينه فحرام عليه شرعاً أن يجنح الى الكسل ويمد يد الاستعانة والمسألة الى الخلق : ومن أعانه على ذلك وحبب اليه الكسل والتقاعد أثم وارتكب أمراً جسيما » .

ويجب على الحكومات أن يتربصوا لمن يتخذون التسول والاستجداء حرفة لهم . فمن وجدته قادراً على العمل استخدمته فى الأعمال النافعة . ومن كان عاجزاً عن العمل آوته فى الملاجىء الخيرية التى تنشئها أو ينشئها أهل الخير من الأمة لهؤلاء العجزة والضعفاء حتى لايكونوا قذى فى أعينها ، ووصمة عار عليها ولا تكون بذلك إلا منفذة إرادة الدين الحنيف وحكمته : أما إذا تركتهم يتسولون وهم أقوياء ، وأهملت في ذلك الواجب الاجتماعي فقد أعانت على شلل عضو من جسم الأمة . وقد سنت الحكومة المصرية تشريعاً للتسول فطهرت المجتمع من هذا الصنف من الناس الذين كانوا وصمةعار على البلاد . وعبئاً ثقيلا على كواهل العاملين من أبنائها . واكتفينا بفضل هذا التشريع معرة الأجانب

واستراح الناس من مضايقة هؤلاء المتسولين ، الذين كانوا يرابطون على أبواب الأولياء وأبواب المساجد فضلا عن الطرقات العامة . وحوالى مركبات الترام والمحطات . وطالما ضج الناس بالشكوى من وقاحة هؤلاء السفهاء الذين قد يبلغ بهم الالحاف فى الطلب الى أن يمسكوا بثياب الناس يرغمونهم على البذل والعطاء ولعمر الحق . إنها كانت مناظر مزرية محزنة ، مخجلة مخزية : لاسيما إذا نظر إليها الغرباء من الأجانب ، ونقلوها الى بلادهم يستخدمونها للحط من كرامة الأمة التى هى براء من هؤلاء : وقد امتلأت السجون والملاجىء بادىء الأمر بهؤلاء المتسولين وأخذ عددهم فى النقص حتى زال شبحهم وتوارروا عن أعين الناس . وحمد الشعب للحكومة غيرتها على كرامة البلاد — وتنفيذها لأغراض الشريعة الغراء .

كذلك حمد الناس لها جمع الأطفال المتشردين ، الذين كانوا ينتشرون في شوارع المدن والقرى يسرقون ، ويلتقطون أعقاب السجائر وجمع الأوراق المتناثرة والخرق البالية والعظام وما الى ذلك : فاذا جن الليل ناموا على ( إفريز الشارع ) أكواماً بشرية بعضهم فوق بعض : فكان منظرها «ولا سيما فى فصل الشتاء» مؤلماً ومحزناً حقاً — ومزرياً ومخزياً حقاً : إذ أن هؤلاء تناسلوا ولا شك من جماعة من الناس لايعرفون للأبوة ولا للبنوة معنى : فهم كالأنعام بل هم أضل سبيلا : وكيف لايكونون كذلك وقد تركوا أفلاذ أكبادهم يهيمون فى الطرقات ، ويتسكعون في الشوارع من غير مأوى ولا مستقر : فاذا كبروا فالذكور منهم لصوص ، والفتيات بغايا . وهذا أمر مغبته على الأمن العام خطيرة . وعلى الأخلاق والآداب مهلكة مبيرة .

وكان جمع هؤلاء المتشردين عملا جليلا . يتعلمون فى مدارس الأحداث التى أنشأتها الحكومة خصيصاً بهم . يتعلمون المهن النافعة لهم فى مستقبلهم ، كما تتعلم الفتيات التمريض وتدبير المنزل وما يؤهلهن لمستقبل الحياة الى عيش شريف ، وحياة حرة كريمة .

فقانون التشرد والتسول وتنفيذه بالحكمة أسدى الى البلاد نفعاً عظيما فى حالها ومستقبلها .

روى البخاري ومسلم عن الزبير بن العوام رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال . « لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتى بحزمة حطب فيبيعها فيكف الله بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه » .

فهذا الحديث الشريف يحث الناس على اكتساب الرزق ولو من الأعمال الصغيرة التى لاخطر لها . ويبغضهم فى السؤال ويحفظ عليهم العزة والكرامة . ويمنعهم الذلة والمهانة .

وروى الامام أحمد وأبو داود عن عبد الله بن عدى بن الخيار أن رجلين أخبراه أنهما أتيا النبى ﷺ يسألانه عن الصدقة فقلب فيهما البصر ورآهما جلدين « قويين » فقال إن شئتما أعطيتكما . ولا حظ فيها لغني — ولا لقوي مكتسب » .

وروى أحمد وابن حبان عن سهل بن الحنظلية عن رسول الله ﷺ قال : « من سأل وعنده ما يغنيه فانما يستكثر من جمر جهنم . قالوا : يارسول الله وما يغنيه ؟ قال مايغديه أو يعشيه » ( وعن أبى داود يغديه ويعشيه )

وروى أحمد ومسلم وابن ماجة عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ

أنه قال : « من سأل الناس أموالهم تكثراً فانما يسأل جمراً . فليستقل منه أو ليستكثر » .

وكان رسول الله ﷺ جالساً مع أصحابه ذات يوم فنظر الى شاب ذي جلد وقوة وقد بكر يسعى . فقالوا ويح هذا . لو كان شبابه وجلده في سبيل الله تعالى ! ! فقال ﷺ : لاتقولوا هذا . فانه إن كان خرج يسعى على ولده صغاراً فهو في سبيل الله . وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله . وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو في سبيل الله . و ن كان خرج يسعى رياء ومفاخرة فهو في سبيل الشيطان » .

وعلى هذا فمن سأل غيره وعنده غنى فقد أكل ناراً . وأراق ماء وجهه الذي أوجب عليه الله حفظه .

وسمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه سائلا يسأل بعد المغرب فقال لواحد من قومه عش الرجل . فعشاه . ثم سمعه ثانياً يسأل فقال : ألم أقل لك عش الرجل ؟ ! ! قال : قد عشيته . فنظر عمر فاذا تحت يده مخلاة مملوءة خبزاً فقال : لست سائلا ولكنك تاجر . ثم أخذ المخلاة ونثرها بين يدى إبل الصدقة . وضربه بالدرة وقال : لاتعد .

هذا : وخير ماينفق فيه المال أن يتعهد الانسان به رجلا مسكيناً يمنعه الحياء من سؤال الناس . ويظهر لهم الغنى وهو فقير معدم — ولكنه يتعفف عما فى أيديهم محتفظاً بكرامته وماء وجهه : فالأسر التى افتقرت بعد غنى — وانحطت بعد رفعة — وعندها من عزة النفس مايحول بينها وبين السؤال أولى بأن يبذل لها الاحسان سراً : ودليل ذلك مارواه الشيخان أن رسول الله ﷺ

قال : ليس المسكين الذي ترده اللقمة أو اللقمتان ، والتمرة والتمرتان ، ولكن المسكين الذى لايجد غنى يغنيه ولا يفطن له فيتصدق عليه ولا يقوم فيسأل الناس ليس الغنى عن كثرة العرض ، ولكن الغنى غنى النفس » .

والسبيل الى غنى النفس — الرضا بما قدر الله وأعطى — وأن يكون المرء بما فى يد الله أوثق منه بما فى يديه . وبذلك يحيا حميداً . ويموت سعيداً . فمن يستعفف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله . والله هو الغنى الحميد .

فليعلم المسلم أن العزة فى القناعة ، والذلة في الضراعة ، وأن من استغنى عن الناس أغناه الله عنهم ، ومن سأل الناس ، وكله الله الى الناس .

فمن أغناه الله فلينفق من ماله على المستحقين ، ومن ضاق عليه رزقه فليستعفف فان الله واسع عليم .

جملنـــا الله بالقناعة . ووقانا شر الضراعة — إنه خير مسئول . وأكرم مأمول .

# (٢٧) قطع الحدود
## واغتصاب ملك الغير

الطمع وآثاره ونتائجه . أخس أنواع الطمع قطع الحدود . قطع الحدود يجر الى التقاضى ويشتهر صاحبه بالضلال بين الناس ودليل ذلك . محال أن يكسب قاطع الحدود نفسه وأولاده الغنى بما يغتصب . عظة وإرشاد وتخويف من دعوة الضعيف . الطمع فى « المنافع العامة » وجزاء مرتكبه . قطع الطرق العامة وإدخالها فى الأراضى الزراعية وضرر ذلك على مرتكبيه وعلى الناس . عدم إيمان الناس بسبب المشاكل والعداوات ويكلف الحكومة الأموال الطائلة .

---

قال الله تعالى : « وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين » .

. . . لما كان هذا الأوان موسماً للزراع ، حيث يكثر بين إخواننا «الفلاحين» من قطع الحدود الخلاف والنزاع ، أردت أن أذكر بهذه النصائح من كان من الغافلين . عملا بقوله تعالى « وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين » .

. . . اعلموا معشر المسلمين أن الطمع داء وبيل ، يجر صاحبه الى ارتكاب المحرمات والعذاب والتنكيل . فكم جرأ قوماً على سلب حقوق الناس رجاء أن يكونوا من الأغنياء ، وجمعوا حطام الدنيا من الحرام فعاد ذلك عليهم بالبلاء والوباء ، فما لبثوا أن تركوا ماجمعوا ، وخلفوا ما سلبوا ، ولاقوا ربهم يحملون أوزارهم — ويتركون الحرام يخرب ديارهم : يناقشون حساباً تقشعر

منه الجلود — ويذوب من هوله الحجر الجامود . والله عزيز ذو انتقام .

ومن شر أنواع الطمع — قطع الزارع الحد الذى بينه وبين جاره ، طمعاً فيما يأخذه منه مما لاينفعه ولا يغنيه . معرضاً بذلك الطمع نفسه لمقت الله ودخول النار ، والشهرة بين الناس بالضلال ، مما يلبسه الخزى والفضيحة والعار .

أو لم يعلم الطامع أن الله تعالى سيعوض جاره فيما زرع خيراً ونماءا ؟ ويصيبه هو بسوء ماصنع شرا وبلاءا ؟ ! ! وكثيراً مايفضى هذا التعدى الى المقاضاة بين يدى الحكام — بعد أن يشتد النزاع بين الجارين ويحتدم الخصام وما الله بغافل عما يعمل الظالمون .

فتنبه أيها الطامع واعلم أنك اليوم تبذل جهدك في جمع الدنيا من حلال وحرام . وغداً تترك لغيرك ماجمعت وتلاقي على عملك العقاب والآلام .

إن كنت تهتم بغنى أولادك من بعدك ـ فليس أحد منهم بشفيع لك عند ربك ، بل كل نفس بما كسبت رهينة — والنفس بما فعلته مدينة . والقدر الذى تطمع فيه لايغنى من فاقة ولا يسد من افتقار ـ وإنما بأخذك إياه تعرض نفسك لغضب الله وعذاب النار : والحدود التى بينك وبين أخيك إنما هي من حدود الله . ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون .

واعلم أنك مهما حاولت أن تأخذ من جارك على طول الأيام — فلست آخذاً إلا قدرا يسيرا ربما لاينبت فيه زرع على الدوام . وهذا عقاب لك فى الدنيا وخزى في الآخرة وإغراء من الشيطان .

فاجتنب ذلك ولا سيما إذا كان جارك ضعيفاً يلجأ الى الله بالشكوى — فدعوة المظلوم مجابة تحيط بمن نزلت به البلوى . واقنع بما قسم الله لك تسكن

غنياً . وتعفف عن الحرام تعش عيشاً مرضياً ، وبذلك ترحل عن الدنيا مستريح الضمير . واحذر عقوق الناس وخف من الله فانه بما تخفى الصدور عليم خبير .

هذا ولا تنس أن من أدخل في ملكه من « المنافع العامة » جزءاً قليلا كان أو كثيراً فسيحاسبه الله على ذلك حساباً شديداً ويعذبه عذاباً نكراً : وكذلك من أخذ من شواطىء الأنهار أو الترع رمالا أو رماداً وأدخله في أرضه كان متعدياً حدود الله . وكان ذلك سبباً في سوء حاله وشرّ مآله وظهوره بين الناس بمظهر الطامع الجشع الذى يؤثر نفسه على الناس ، بما جعله الله منفعة للناس .

وأفظع من هذا كله إثماً — وأشد جرماً . الذين يعمدون الى الطرق الواسعة التى يسير عليها الناس سواء أكانت « زراعية » أو « خصوصية » فيقطعونها ويدخلونها فى أراضيهم . حتى تضيق الطريق بالسالكين : فأمثال هؤلاء جنوا على أنفسهم وعلى الناس .

أما جنايتهم على أنفسهم — فقد ضموا الى أراضيهم جزءا مغتصباً يسلب بركتها ، ويجعل حاصلاتها حراماً ، وعاقبتها ضيقاً وفقراً عاجلا .

وأما جنايتهم على الناس فقد ضيقوا عليهم السبيل ، الأمر الذى كثيراً مايترتب عليه ضرر . بل أضرار محققة .

ولو أن قلوب الناس خالطها إيمان صحيح وعرفوا أن الأرض لله هو الذى ينميها ويبارك فيها — وأن الطمع لايزيد في الأرزاق شيئاً بل هو يمحق البركة محقاً — لو علموا ذلك لقنعوا بما ملكته أيديهم حلالا طيباً . وتركوا الطريق على اتساعها . وتركوا القنوات العامة مصونة . ولعفوا أنفسهم عن إدخال شىء لايملكونه فى ملكهم خوفاً من الله وخوفاً من سطوته وخوفاً من عقابه .

وإذاً لوفروا على الحكومة الأموال الطائلة التى أنفقتها وتنفقها فى صيانة حدود الأطيان الزراعية بين الناس وبعضهم ، وبينها وبين الناس .

ولكن خلو القلوب من الايمان والاستهانة بعقاب الله تعالى جرأ الجهلاء من الناس على الاعتداء على المنافع العامة — وعلى الحدود . وكثرت بذلك المشاكل والعداوات وكثرت القضايا والمشكلات التى قد تجر الى إراقة الدماء — وتوارث البغضاء . كما نشاهده فى كل يوم وتفيض به أخبار الصحف مابين حين وآخر .

ولو وقف المسلمون عند دينهم لأراحوا أنفسهم . ونعمت زراعتهم . ومنع الله عنهم تلك الجنود الفتاكة التى تحاربهم فى أرزاقهم . وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون .

هدانا الله جميعاً الى مافيه الخير — ومنعنا عما فيه الضير . انه على كل شىء قدير .

## (٢٨) المزارع ومتلفوها

الأمراض والعلل نتائج فساد القلوب . نقص الثمرات وإتلاف المزروعات بالآفات سببها العصيان ودليل ذلك من الكتاب . ما أعده الله لمتلف المزروعات من العقاب . إتلاف المزروعات جبن وخسة . وفاعله خارج من حظيرة الاسلام ودليل ذلك من السنة . تقريع وتأنيب . تعزية من أتلف زرعه وعدته بمضاعفة الرزق من الله . طلب اختصاص العذاب بطائفة المفسدين . ومعافاة الصالحين .

---

قال الله تعالى : « ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد

الله على ما فى قلبه وهو ألد الخصام . وإذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل . والله لايحب الفساد . وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد .

. . . إن من دقق النظر فى أعمال المسلمين . وفكر فيما ستئول اليه فى المستقبل أخذته الدهشة واستولى على قلبه الحزن . فقد كثر فساد الناس براً وبحراً . وعصوا ربهم سراً وجهراً — لذلك ساءت أحوالهم « لضعف إيمانهم ، ونبذهم تعاليم دينهم » وسلطت الآفات على مزروعاتهم ، وانتشرت فيما بينهم الأمراض تفتك في أجسامهم : وكل هـذا سخط من الله وغضب منه بسبب فساد قلوبهم . وقبيح أعمالهم . وهم لايزدجرون ولا يعتبرون . فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم : « إن الله لايغير مابقوم حتى يغيروا مابأنفسهم . وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له . ومالهم من دونه من وال » .

وما كفاهم ذلك البلاء النازل ، وذلك السخط الهائل ، حتى شرعوا يحارب بعضهم بعضاً في إتلاف المزروعات التى منها طعامهم وشرابهم . وما يدري الجانى كيف يكون جزاؤه عند الله وعقابه . إنه سيصلى عذاباً أليما . ويسكن في الآخرة سعيراً وجحيما .

جريمة مقتلع المزروعات ـ وحارم أصحابها من الأقوات ـ جريمة قاتل النفس . لأنه يسعى فى إتلاف مابه حياة أصحابها ـ أو مافيه مصلحة تعود عليهم منها : وهو عمل لايقدم عليه إلا من فاق إبليس في اللعنة وخبث الضمير .

متلف المزروعات للناس جبان — لأنه ينتقم خفية لا في العيان . ضعيف عاجز لم يستطع أن يقابل الناس فيعاديهم وجهاً لوجه . وإنما عمد الى حيلة اللصوص السفلة فحارب الناس في مزارعهم . وهو عمل يمكن للطفل الصغير

والمرأة الضعيفة أن تفعله . فلا فخر له فيه — ولا قيمة له عند العقلاء .

متلف المزروعات ليس بمسلم . لأن الناس لم تسلم من شره وطغيانه — والمسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه .

بالله أى فائدة تعود على ذلك الذي يتجرأ فيتلف المزروعات فلا ينتفع بها صاحبها ، ولا ينتفع هو بها ! ! ولا يناله من وراء ذلك إلا إنزال السخط واللعنات عليه ! ! إن كان منتقماً فان الله عزيز ذو انتقام . وإن كان يدعى أنه مظلوم فما ربك بغافل عما يعمل الظالمون . وإن كان ظالماً فويل للظالمين ، من أحكم الحاكمين . فلم يبق إلا أنه خبيث النفس ـ لئيم السجية . ومثل هذا لايعد إنساناً ـ ولا يشاكل حيواناً .

أما أنت يامن أتلفت مزروعاتك — فلا تظن أن ذلك تضيق به أقواتك فسيعوض الله عليك خيراً — كما يعوض على الجانى شراً وضيراً . واعلم أن من آذاك فخصمه الله . ومن خاصمه الله فالنار مأواه .

اللهم إنى أنا ومن أطاعك من الحاضرين . وأخلص لك النية مع المخلصين نتبرأ إليك من فعل السفهاء ، فلا تؤاخذنا بما فعلوا . وخصهم وحدهم بنقمتك وعذابك . وطهر أرضك من رجسهم ودنسهم . فانهم شياطين الانس يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غروراً . وأنزل عليهم المصائب ظاهرة حتى يزدجر غيرهم . فقد أمنوا مكرك وعذابك بحلمك عنهم . ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون .

استهانوا بشريعتك فأقسموا الأيمان كاذبة يستحلون بها ماحرمته عليهم . وعمدوا الى أرزاق عبادك فحاربوك باتلافها . فأنت تصلح وهم يفسدون . وأنت تحلم وهم يجهلون .

اللهم أرنا فيهم نوعاً من عذابك — به يزدجر الطاغي — ويطمئن المطيع . وحاشا أن يعجزك شيء في الأرض ولا في السماء . إنك على كل شيء قدير . وأنت نعم المولى ونعم النصير .

# (٣٩) معاونة الأشرار وآثارها

مهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عامة وواجبه على الكفاية . طرق ردع الظالم . التستر على المجرمين وجزاؤه العاجل والآجل ودليل ذلك . تقريع وتأنيب للمتساهلين بأوامر الدين . الشفاعة للأشقياء وجزاؤها ودليل ذلك . نعمة الأمن تلى نعمة الدين . مهمة الحكومات توفير الأمن بالنوع الانساني . كثرة الجرائم مرجعها الى تستر الناس على المجرمين ومحاباتهم لهم . ضرب مثل بنوح وابنه في عدم العطف على الشقي وقطع صلة الأبوة به . الدفاع عن الظالم إن نفعه في الدنيا فلن ينفعه في الآخرة ودليل ذلك من الكتاب . الحث على التقوى والوقوف عند حدود الله .

قال الله تعالى : « ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر . وأولئك هم المفلحون » .

. . . أمر الله تعالى المسلمين في هذه الآية الكريمة أن يكون فيهم جماعة مهمتهم أمر الناس بالمعروف ، ونهيهم عن المنكر . ولا يخلى ذلك بقية المسلمين من أداء هذا الواجب .

فكل مسلم واجب عليه إذا رأى أحداً ارتكب منكراً قولا أو فعلا

obeikandi.com

أن يرده لنصيحة . فاذا امتنع عن قبولها والعمل بها وجب على جماعة المسلمين أن يقاطعوه ويعملوا على اتقاء شره مهما كان نسبه فيهم ـ ومنزلته بينهم : فاذا لم ينجع هذا الدواء سلموه الى العدالة والقانون ليقتص منه .

ويكون عملهم هذا تنفيذاً لأوامر الله وبعداً عن غضبه . فان المسلمين اذا تستروا على مجرم وحابوه عطفاً عليه ـ أو خوفاً من شره ـ أو مراعاة لجانب أهله ـ أوشك الله أن يعمهم جميعاً بالعذاب ـ وأن يطردهم عن أبواب رحمته ويلعنهم وتلعنهم الملائكة جزاء على معاونتهم للمجرمين : سنة الله مع الأمم السابقة . وهو الذى يقول :

« لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ـ ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه ـ لبئس ما كانوا يفعلون » .

فقد بين سبحانه وتعالى أنه لعن بنى اسرائيل حين اعتدوا ولم ينه عقلاؤهم سفهاءهم عن الخطايا والذنوب .

فمتى يفيق المسلمون من هذه الغفلة ؟ ومتى يخلصون لله فى دينهم ، ومتى ينفذون شريعة نبيهم ؟ ! ! فقد ورد : من أعان ظالماً سلطه الله عليه : وذلك بأن يستفحل أمر ذلك الظالم فلا يقف فى عدوانه وظلمه عند حد ـ بل يكون من أعانه ضحية من ضحاياه .

فلا ينبغى أن يكون للمجرمين شفعاء يقفون بينهم وبين حدود الله . فمن شفع لمجرم شفاعة كان له نصيب من كل ذنب يفعله ذلك المجرم . جزاء له على تعطيل حدود الله — وجزاء له على مساعدة المعتدين . مصداقاً لقوله تعالى : « من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة

سيئة يكن له كفل منها وكان الله على كل شيء مقيتا » .

هذا . واعلموا أن أعظم نعمة على الناس بعد نعمة الدين هي نعمة الأمن على الأرواح وعلى الأموال وعلى الأعراض : وحفظ الأمن واجب ديني . ولذلك قامت بأمره كل حكومة ليكون الناس مطمئنين .

فاذا ظهر في بلد مفسد يريد أن يعكر على الناس صفو حياتهم وجب عليهم أن يقفوا كلهم سداً في وجهه . لأنه بمنزلة الثعبان الذي ينفث سمومه فيهم . وبمنزلة النار إن تركت أحرقتهم . فيكتفوا شر أذاه قبل أن يعظم خطره ، ويتطاير شرره .

وما كثرة الجرائم في البلاد من قتل . وسلب . ونهب . وتقليع مزروعات . وحرق محصولات . وانتهاك حرمات . إلا ناشيء عن تهاون الناس في شأن المجرمين وتسترهم عليهم ولو عملوا بأمر دينهم وعلموا أن التستر على المجرمين يجعلهم شركاء لهم في إجرامهم يستوجبون به غضب الجبار — وعذاب النار — كما يستوجبون به الخسة والدناءة وضعف النفوس وضعف الدين حيث جاملوا بدينهم من خالف أمر ربهم — لو علموا ذلك كله لما دافعوا عن شقي من الأشقياء ولا شفعوا له . بل لتولوا تأديبه إن استطاعوا . وإلا سلموه إلى العدالة تؤدبه كما أسلفنا .

وليعلم كل من يشفع في شقي أنه لم يعمل بذلك عملا صالحاً . وإنما حال بين عدو من أعداء الله . وبين تنفيذ حد من حدود الله . وكأنه حارب ربه بهذه الشفاعة . وكأنه فتح بذلك باب الغضب واللعنة على نفسه — وعلى من رضي بعمله .

هذه هي تعاليم الدين . فاذا كنتم مؤمنين تخافون نزول سخط الله عليكم فلا تدافعوا عن شقي مهما كانت قرابته منكم : وانظروا الى نوح عليه السلام

حين كلم ربه فى أمر ابنه ، وكان ابنه من الأشقياء بقوله : « رب إن ابنى من أهلى . وإن وعدك الحق . وأنت أحكم الحاكمين » وكيف رد الله عليه بقوله : « يانوح إنه ليس من أهلك . إنه عمل غير صالح . فلا تسألن مالیس لك به علم . إنى أعظك أن تكون من الجاهلين » .

فقد حكم رب العزة بانقطاع النسب بين الأب وابنه ، لشقاوة ذلك الأبن الأثيم .

فكذلك فافعلوا بمن يرتكب من أبنائكم أو أقاربكم فعلا منكراً يخالف الدين . فتبرأوا منه ولا تعطفوا عليه واتركوه تقتص منه يد العدالة . وبذلك تخدمونه وتخدمون أنفسكم : أما هو فيؤدبه القانون ، وأما أنتم فمن شره تستريحون ، وعلى أنفسكم وأموالكم تأمنون .

فلا تدافعوا عن شقى لتخلصوه من جزاء ما ارتكب ، ولا تجادلوا عنه بالباطل فان هذا الجدال إن نفعه في الدنيا فسيكون وبالا عليه وعلى المجادلين عنه يوم القيامة : مصداقاً لقوله تعالى : « هأنتم هؤلاء جادلتم عنهم فى الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامه ؟ أم من يكون عليهم وكيلا ؟ ! ! » .

فاتقوا الله فى أنفسكم ، ولا تخشوا فى الله لومة لائم ، واعلموا أنه لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق ، وأن من أصلح مابينه وبين الله كفاه الله مابينه وبين الناس ، ومن أعز دين الله ـ أعزه الله ، ومن تهاون بدين الله أهانه الله ، ومن أهانه الله فالنار مثواه ، وكان يوم القيامة من الخاسرين .

أصلح الله تعالى بالدين قلوبنا . وأخلص فى النية إليه أعمالنـــا . إنه ولى المتقين .

# ( ٣٠ ) شياطين الانس

## وضررهم على المجتمع الإنسانى

مضمون الآية الكريمة . المفسدون للناس هم شياطين الانس . عوامل الاغواء أربعة « شياطين الانس ـ شياطين الجن ـ النفس الأمارة بالسوء ـ زخارف الدنيا » العلامات التى يعرف بها شياطين الانس «ظهورهم بمظهر الصلاح والتقوى . تلونهم . عدم مبالاتهم بارتكاب المعاصى والآثام . عيبهم على الناس وكلهم عيوب . غشهم . نمهم . كذبهم . حلفهم ودليل ذلك من الكتاب . فرحهم بمصائب الناس وشماتتهم بهم » شياطين الانس أعداء الانسانية ـ أعداء لأنفسهم . أعداء لله ورسوله . علامات المسلمين حقا . نداء للتخيير بين الخير والشر

---

قال الله تعالى : « وإن تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله . إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون . إن ربك هو أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين » .

. . . . هكذا يقول رب العزة عن خلقه وهو عليم بهم :

إن الانسان إذا تصفح الناس وجدهم جميعاً « إلا قليلا منهم » استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة ـ وضلوا عن طريق الهدى ـ ولو تابعهم غيرهم لأضلوه .

والحقيقة أن الناس يفسد بعضهم بعضاً . ورؤساء الضلال هم شياطين الانس ـ إذا خالطهم رجل مستقيم أضلوه عن طريق الهدى بما يوسوسون له وبما يزينونه من زخارف القول حتى يقع فى شراكهم فيصبح ضالا مثلهم : والناس بلاء الناس . ومن ورائهم شياطين الجن ـ وشهوات النفس وزينة

الدنيا : كل أولئك أعوان لشياطين الانس يكثرون ضحاياهم .

وإن لشياطين الانس هؤلاء علامات يعرفون بها وسمات يتميزون بها . فأنت تراهم يلبسون ثياب الصلاح ظاهرياً وقلوبهم مملوءة بالبغض والحسد للناس لا يفتأون يخلقون الوقيعة والفتن والدسائس بين خلق الله بما يفترونه من الكذب والبهتان . يقابلون هذا بوجه . وذاك بوجه آخر . فاذا ناقشتهم الحساب — وعرفتهم الصواب — اعتذروا لك بمعاذير اختلقوها — وأخاديع ابتدعوها .

ومن علاماتهم عدم المبالاة بارتكاب المعاصي والآثام — ومحاربة الملك القدوس السلام — كأنهم نسوا أن بعد الدنيا داراً يلاقي فيها المحسن جزاء إحسانه — والمسيء وبال عاقبته وبهتانه .

هؤلاء هم العيابون للناس وكلهم عيوب ومخازي — المنتقدون لخلق الله وليس فيهم خلة من خلال الخير — غشاشون نمامون — كذابون حلافون . يحلفون بالله كاذبين على أوهي الأشياء : ذلك — لأنهم لا يهمهم إلا أن يرضوا عباد الله — ولو بسخط الله . برىء الله منهم ، وبرىء الاسلام من نسبتهم اليه .

« يوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون له كما يحلفون لكم . ويحسبون أنهم على شيء . ألا إنهم هم الكاذبون . استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله . أولئك حزب الشيطان . ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون »

ومن علاماتهم أنهم يفرحون بمصائب الناس ، ويشمتون بهم عند حلول المصائب ، كأنهم أخذوا على الأقدار عهداً ألا تنزل بهم مكروهاً .

وهم بذلك عدوّ للانسانية ، وعدو للمسلمين ، وعدوّ لأنفسهم . وهم بعد ذلك كله أعداء لله ورسوله . لأنهم عاشوا أداة فساد في الأرض ، مخالفين الشريعة والعقل . فويل لهم مما كسبت أيديهم ومما اقترفته نفوسهم من الضلال ، وويل

لهم مما يكسبون .

ألا وإن للمسلمين الصالحين علامات يعرفون بها بين الناس . فهم يحبون الخير لخلق الله . ويبتعدون عن الأذى لخلق الله ، ولا يخدعون ولا يكرهون خلق الله ، ينصحون في الله ، ويحبون ويبغضون في الله . ذلك لأنهم يعرفون أن كل أمر خيراً كان أو شراً مفاتيحه بيد الله ، فهم يسلمون الأمر لله ، ويتوكلون على الله ويخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار ، أولئك حزب الله ، ألا إن حزب الله هم المفلحون .

ها نحن أولاء قد بينا لكم طريق الخير وطريق الهلاك ، فمن شاء أن يلقى ربه نقياً طاهراً فليسلك الطريق القويم ، ومن آثر الضلال على الهدى ورضى لنفسه بالخسران فأمامه دار جهنم فيها متسع له ولأمثاله من الأشقياء والله عليم بما تصنعون .

جعلنا الله تعالى ممن يسلكون طريق الهدى ، ويبتعدون عن طريق الردى إنه عليم بذات الصدور .

## (٣١) قول الزور وصوره وألوانه

الاسلام يكسب صاحبه عزة والمسلمون تتكافأ دماؤهم — كاتم الشهادة عدو لله وحرب على دينه — أضرار كتمان الشهادة وارتباط ذلك بمصالح الناس كاتم الشهادة يؤثر الناس على الله وجزاء ذلك ودليله — أنكى من كاتم الشهادة شاهد الزور وبيان ما أعدّ له من الجزاء ودليله — شهادة الزور تدل على خسة نفس صاحبها وفقدانه المروءة — ألوان وصور لقول الزور .

قال الله تعالى « ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه ، والله بما تعملون عليم »

. . . اعلموا أن الله تعالى اختار لكم الاسلام ديناً ، وجعلكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً ، وقبل شهادة بعضكم على بعض فى الدماء والأموال — لأن الاسلام من شأنه أن يجعل صاحبه حر الضمير — لا يخشى غير الله — ولا يشهد إلا بالحق — لا محاباة فى الاسلام ولا مداجاة . فمن كتم شهادة حق لسبب من الأسباب فهو عدو لله — وحرب على شريعة الله — آثم القلب مبغض من الرحمن — وعبد من عبيد الشيطان . لأن كتمان الشهادة يترتب عليه تضييع حقوق الناس التى نزلت الشريعة المطهرة ضماناً لها ، وحارساً عليها .

نعم كاتم الشهادة مطرود عن رحمة الله ، لأنه استهان بحرمة الله ، وآثر رضاء الناس على رضاء الله . وجدير بمن كان كذلك أن يحرمه الله ظل رحمته يوم القيامة . وأن يذيقه عذاب النار .

وأشد من ذلك ضرراً ، وأسوأ عاقبة وأثراً ، من يحول الشهادة فيشهد زوراً ، ويأتى فجوراً ، وهو لا يدرى أنه أتى بكبيرة من الكبائر يهتز لها عرش الرحمن غضباً ، ويصلى بها يوم الجزاء ويلا وحربا .

روى البخارى ومسلم عن أبى بكر رضى الله عنه قال : كنا عند رسول الله ﷺ فقال : « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر : ( ثلاثاً ) الاشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، ألا وشهادة الزور ، وقول الزور ، وكان متكئاً فجلس . فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت »

فانظروا كيف عدها رسول الله ﷺ من أكبر الكبائر ، وكرر التهويل

فى أمرها ، لأن شهادة الزور فضلا عن أنها مسخطة للرب ، مجلبة لعظيم الذنب فانها تدل على خسة نفس صاحبها وانحطاطه وعدم مروءته .

شاهد الزور وضيع خسيس ، باع دينه بحطام زائل ومتاع قليل ، وتعرض لسخط الله فى جانب رضاء الناس ، ومن أرضى الناس بسخط الله كان عدواً لله وملائكته يوم القيامة . لا يقبل الله منه عملا . هذا من حيث نفسيته وخستها وجزاؤه عند الله وعقوبته .

أما من حيث الآثار التى تترتب على شهادة ذلك الدنيء فأقلها أنه أضاع معالم الحق على الحكام ، وعرّض حقوق الناس للضياع وطمس معالم الحقيقة بما أتاه من زور وبهتان ، وناهيكم بما يترتب على عمل استهان صاحبه بعظمة الله وجلاله ! ! وأقل مايكافأ به أنه سيصلى فى الآخرة ناراً . وفى الدنيا خزيا وعارا

هذا . والزور له ملابسات شتى ، وصور لا يأتي عليها العد . نذكر طائفة من مثلها تبين مقدار أثرها فى الفساد واتساع هوّتها فى الضلال .

فهذا ( سمسار ) يروج السلع فيضلل المشتري حتى يحمله على شراء الخبيث بثمن الطيب ، والطيب بثمن الخبيث ، مراعياً فى كل هذا الفائدة المادية التى تعود عليه ، ولو خرّب البيوت بتضليله . وأفقر الأغنياء ببهتانه . وأندر من الكبريت الأحمر أن ترى ( سمساراً ) صادقا مع أن هذه المهنة كانت من زمن بعيد شريفة . فقد كان « السمسار » يبين عيوب المبيع إن كان فيه عيب حتى يكون المشتري على بينة من الأمر ، فلا غش ولاخداع . أما اليوم ( فالسمسار ) أخو اللص إن لم يكن شراً منه وأسوأ أثراً .

وهذا رجل يذهب إلى المحامي لتوكيله فى قضيته . فيذهب ذلك المحامى ويلابس تلك القضية ثوبا غير ثوبها ويظهرها فى نظر العدالة حقاً صرفا . وهى باطل

صرف يتبرأ الحق منه ، فذلك المحامى مزور. وربما ترتب على تزويره هذا سلب مال الغير والحكم بترجيح الباطل على الحق ، وربما حمل الغيظ من سلب ماله على ارتكاب جريمة القتل وسفك الدماء .

ومن هذا ما تأتيه الخاطبات الموكول إليهن اختيار الزوجات كما هو حاصل الآن . وشائع في كثير من الأمصار والبلدان فهن يكلن المديح على السخيات . ويلبسنهن من الجمال ما ليس فيهن . فاذا وقعت الواقعة وتمّ الزواج فهنالك يرى الزوج المؤتمن للخاطبة أنها ارتكبت أشنع الزور فى هذا الزواج ، ويترتب على ذلك حياة منغصة وشقاء لا شفاء منه إلا بالفرقة . وفي هذه الفرقة ضياع المال وشحن الصدور بالاحن والبغضاء والعداوة التى ربما جرّت شقاء وويلا كبيراً.

ويجرى هذا الضرب بين رجال العلم ومؤلفاتهم ، فهذا رجل ألف كتابا وقدّمه لأحد أصدقائه . فلا يسع ذلك الصديق إلا أن ينسج ثوبا من الثناء المزور ويسبغه على هذا المؤلف . فاذا أنت قلت له : إن هذا المؤلف لا يستحق ثناءك وإعجابك قال : وماذا أصنع وهو يريدنى على أن أنوّه بذكره ككتاب مفرد فى بابه ! ! فهذا تزوير وتزوير ضار . ومن حق العلم على أهله ألا تدخل حظيرته المواربة والمداجاة . بل لا يقال فيه إلا الحق كرامة لمنزلة العلم وأهل العلم وعلى تقيض ذلك من يغمط المؤلفات النافعة حقها . ويبخس مؤلفيها مجهودهم لا لشىء إلا أنه يريد أن يحط من منزلة المؤلف لشىء فى نفسه مع اعتقاده بسلامة المؤلف من النقص وبعده عن النقد الصحيح . ولكنه يأبى إلا أن ينال من المجيدين حتى يقال إنه « نقادة » وما هو إلا حاسد بغيض .

ويقع هذا الضرب من الزور فى تعريف الناس بعضهم ببعض . فهذا صديق جديد تريد أن تعرفه باخوانك وتعرفهم به . فاذا أصغيت إلى المعرف

وقتئذ سمعته يكيل صنوف المدح والثناء ولا يترك صفة من صفات الكمال والذكاء والنبل وما إلى ذلك حتى يفيضه على المعرّف والمعرف به .

كل هذا يجري بيننا ونعرف ما فيه من مخالفة الحق ، ولكنها اللياقة والعادة تجعل للزور سبيلا ولا محيد عنه .

وناهيك بألوان الزور وصنوفه بين يدى القضاء . بل إن المحاماة ورجالها في عصرنا هذا ( إلا من عصم الله ) إنما يتفاضلون وتطير شهرتهم فى الآفاق بمقدار ما أوتوا من المقدرة على طمس الحقائق وتصوير الزور فى صورة الحق وتصوير الحق فى صورة الزور . والقضاة يعرفون كل ذلك ويلحظونه ولا ينكرون منه شيئاً وإن كانوا في الأغلب الأعم لا يقيمون لذلك عند الحكم وزناً . مع أن القاضى والمحامى ورجل النيابة كل أولئك تنحصر مهمتهم فى إظهار الحق الذى كثيراً ما يختفى في ظلمات ما يختلقه أصحاب القضايا من الأضاليل والأكاذيب .

وقد يكون السكوت فى بعض الحالات قائماً مقام قول الزور . فهذا رجل يستشير في أمر مهمّ رجلا آخر فيقول المستشار قولا كله زور وبهتان . ويسكت جليسه فلا ينبس ببنت شفة وهو عالم أن أقول جليسه زور وباطل . فيعدّ والحالة هذه ذلك الساكت مزوّراً ، لأن سكوته قائم مقام التصديق لما قاله ذلك المستشار .

والقاعدة التى تعرفك بالزور في كل صوره مهما تعددت واختلفت ألوانها ومواضعها أن كل قول أوفعل أو ترك خالف الحقيقة فهوزور لانه مال بالحقيقة عن أن تظهر وتتبوّأ مكانها من الجلاء والوضوح .

جنبنا الله مزالق الزلل . وباعدنا عن الزور والخطل وحبب الينا الحق . إنه هو الحق المبين .

# (٣٣) الربا وحكم الله فيه

الربا حرام بمختلف أنواعه . الربا من أسباب ذلة المسلمين حكومة وشعباً . الأجانب ولاسيما اليونان محترفون بالربا حتى أصبحوا سادة وأصحاب البلاد عبيداً في قراهم . الربا في المدن شديد القسوة مفرط الغلوّ وإن سهل احتماله . مقارنة بين حال الناس قبل تعاملهم بالربا وبعده . الربا مفسدة للأخلاق ومبعد للنفوس عن الفضيلة . أخلاق المرابي . سوءات الربا . الحكمة في تحريم الربا . استشهادات دينية في الموضوع ، وصاة للمسلمين في هذا الباب .

---

قال الله تعالى : « الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ، ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا ، وأحل الله البيع وحرم الربا ، فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله . ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون

. . . الربا حرام ، حرمه الله سبحانه وتعالى ونهى المسلمين عن التعامل به أخذاً أو إعطاء أو شهادة أو سعياً للحصول عليه .

ونحن لا نعرض لموضوع الربا لنبين تحريمه ، فالقرآن الكريم والسنة والاجماع كل أولئك صريح فى تحريمه وتشنيع أمره وإفراده بأحكام خاصة به . وإنما نعرض للربا من ناحيته الاجتماعية فنبين أنه كان سبباً فى إذلال المسلمين في مصر وغيرها شعباً وحكومة .

فقد كان الأجانب ، ولا يزالون ، وبخاصة أفراد اليونانيين منهم يأتون مصر ويندسون في قراها وأمصارها يمتهنون المهن الحقيرة أو يبيعون الخمر . وسرعان ما يجمعون مقادير من المال يجعلونها ثروتهم ، فيعطون المزارعين

ما يحتاجون إليه من المال بربا فاحش ، فاذا حلّ موعد السداد أظهروا للمدين لهم ليناً وعطفاً ، فيعطيهم ربا مالهم أو يجدد عقود الاستدانة إلى العام القابل. والأيام تمر تباعا ، ثما هى إلا سنوات قليلة حتى يكون الفلاح المسكين قد خرج من ملكه وانتقلت أطيانه لذلك المرابى الذي يلبس جلد النمر، وقد أصبح بين الفلاحين مثريا عظيما .

وفى كل قرية أو قريتين مراب ينهج هذا النهج مع أولئك الفلاحين البسطاء ، ومن أجل ذلك أصبح أربعة أخماس أطيان مصر فى حوزة الأجانب ولا سيما اليونانيين منهم .

هذا ما يختص بنكبة الأفراد فى مصر من ويلات الربا ، وقد جر الخراب والدمار والضعة على كثير من بيوتات كانت تنعم فى ظل الرخاء والهناء لولا الربا وويلات الربا .

أما الربا فى المدن فهو غريب لتجاوزه حدّ المعقول وخروجه عن دائرة العقل والدين والمرابون فى المدن أشبه الناس بالوحوش الضارية ، لأنهم يعلمون أن الحاجة والعوز فى المدن شديدا القسوة ، بل لا يحتملان

ولكن الربا فى المدن على شناعته وجسامته لا يترتب عليه من المخاطر ما يترتب عليه في القرى . خصوصاً وقد وجد بالأمصار بنوك للرهن فيرتهن الفقراء نحاساً أو مصوغات أو ملابس أو غير ذلك بمعدل الجنيه الواحد قدراً بسيطاً هيناً لا يصعب سداده وإن عظم أمره وخطره .

كان الناس فى سالف الزمان بعيدين عن أخطار الربا ، يعيشون فى بساطة ورضاً وقناعة حتى هبط عليهم أولئك الشياطين شياطين الأجانب وهاجمتهم أوروبا بزينتها وزخرفها . ومد المدين رواقه عليهم، وأراد الفقير أن يساوى الغنىّ فى

المظهر والملبس وما إليها من مظاهر الترف . فاستدان كل من المرابين واستهانوا ببساطة الربح وظنوا أنهم يستطيعون الوفاء بما استدانوا ، فطاش سهمهم وخاب فألهم إذ غرقوا فى لجج الديون وتضاعف بالربح المطلوب منهم فلم يجدوا إلا ما يملكون فباعوه . أو قل فأرغمهم الدائنون على الخروج مما يملكون . فأصبح المالك أجيراً والمرابى مالكا ، وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون

إن الربا لا يقف خطره عند هذا الخراب وعند هذا الذل ، ولكنه إلى ما تقدم من النتائج الوخيمة يفسد الأخلاق ويباعد بين النفوس وبين الفضيلة .

فالمرابى متحجر القلب فاقد العاطفة مسلوب المروءة ، لا يستطيع أقرب الناس إليه أن يقترض منه قرضاً شرعياً مهما كان قليلا ، لأن المرابى لا تطيب نفسه بأخراج مال من يده إلا إذا كسب منه مالا .

إن الربا ليفكك أواصر الصداقة والمودة ويبذر بين الناس المتعاملين به بذور الشقاق ، فلا رحمة ، ولا شفقة ، ولا قرابة ، ولا مودّة ، لأن الربا وضع غطاء على القلوب من القسوة ، فجعل ذويه متقاطعين متدابرين غير متعاونين .

فاذا امتنع التعاون بين قوم فسدت صلاتهم وضاق عيشهم ، وثقلت عليهم أعباء الحياة وضاقوا بها ذرعا .

أما إذا تعاون الناس وتعاملوا بالاستدانة الشرعية عند الحاجة واقفين عند حدود الله في الأخذ والعطاء ، ظهر شأن المروءة بينهم ، ونبتت أشجار المحبة فى قلوبهم فأصبحوا إخواناً متصافين ، وأودّاء مخلصين ، وهنالك يصفو العيش وتطيب الحياة وتطمئن النفوس ولا يجد الأجنبي المتلصص إليهم سبيلا .

إن الله تعالى لم يحرم الربا إلا لما فيه من أدران النقيصة وسوء المغبة وخبث الطعمة ولأنه يشل الأيدي العاملة ويكثر الكسالى والمتبطلين ، إذ يكفى

أن يكون لدى الرجل قدر من المال يخرجه للناس بالربا ويعيش منه من غير أن يقدم لنفسه أو للناس عملا نافعاً يعود عليهم أو عليه بنفع ، ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه وعاش من زوائد ذلك المقدار ، وما هو إلا السم الزعاف يطعمه بدون أن يعمل فى كسبه عملا . يأكل هو وأبناؤه من هذه الطعمة الخبيثة ، فينبت نسله نبتاً خبيثاً ( والذى خبث لا يخرج إلا نكداً )

وإليك طائفة مما ورد على لسان الرسول الكريم في الربا ومضاره ، ففيه مزجر للنفس وتوجيه للهيئة الاجتماعية الاسلامية يوصلها إلى سعادة الدارين .

روى البخاري عن سمرة بن جندب رضى الله عنه قال : قال النبى ﷺ رأيت الليلة رجلين أتياني فأخرجانى إلى أرض مقدسة ، فانطلقنا حتى أتينا على نهر من دم فيه رجل قائم ، وعلى شط النهر رجل بين يديه حجارة ، فأقبل الرجل الذي فى النهر يخرج فجعل كلما جاء ليخرج رمى فى فيه بحجر. فيرجع كما كان فقلت : ما هذا الذي رأيته ؟ قالا : آكل الربا ) .

فهذا تصوير مروع ، ذلك أن آكل الربا ولغ فى دماء الناس بسلب أموالهم . فكان حقاً وجديراً به أن يوكل به من يعذبه ولا يمكنه من النجاة والافلات . وهذا شأن كل ما ورد من كلام النبوة على سبيل التشبيه والتمثيل ليكون أبلغ فى التخويف وأزجر للنفوس .

وروى مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : لعن رسول الله ﷺ آكل الربا (١) وموكله (٢) وكاتبه وشاهديه ، وقال هم سواء .

وهذا تحذير لتواطىء جماعة من المسلمين على إتمام عملية الربا حتى إذا خاف الناس العقاب عسر على المرابي أن يجد من يستوثق به لضمان ماله فلا يرابى

(١) هو الآخذ للزيادة (٢) الموكل هو الدافع لها

بل يبحث عن سبيل أخرى لتنمية ماله من السبل المشروعة .

وروى ابن ماجه والحاكم عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : ما أحد أكثر من الربا إلا كان عاقبة أمره إلى قلة .

وذلك حيث يقول رب العزة ( يمحق الله الربا ) ومعقول أن تلك تكون عاقبته ، فيسلط الله تعالى على المرابي من يضيع عليه رأس ماله ، ثم لا يجد من يعينه على رده .

والوارد في باب الربا من الأحاديث الصحيحة كثير لا يأتى عليه العد وناهيك بأنه هو الباب الذى أذن للامام أن يحارب مرتكبيه ويقتلهم تقتيلا حتى يفيئوا إلى أمر الله ، ويبتعدوا عنه تائبين .

فيا معشر المسلمين قد تبينتم ما فى الربا من خراب البيوت وإذلال النفوس وضياع الأوطان وتمكين العدو من نواصى المسلمين وعرفتم مقدار محوه للفضائل النفسية فاجتنبوه واصبروا عند اللأواء فسيجعل الله بعد عسر يسرا .

أغنانا الله بحلاله عن حرامه ، وبطاعته عن معصيته وبفضله عمن سواه . إنه هو الغنى الحميد .

# (٣٣) الزنا

تعريف الزنا . الزنا مقوض للأسس الاجتماعية والعمرانية . خلق الله كل الكائنات من ذكر وأنثى ليحصل الامتزاج والانتاج فى جميع الأنواع ليتم بينهما العمران . إمتياز الانسان عن بقية الحيوان . تنوع الانسانية إلى آباء وأجداد وأصهار وأحفاد . الزنا هو المعول الهدام للنظام الالهى المذكور . جريمة الزنا شديدة الخطر . بعيدة الأثر ومثل يوضح ذلك . الزنا يفسد أخلاق البيئة التى ينتشر فيها . من ويلات الزنا إفساده لنظام المجتمع والقضاء على النسل تدريجياً فرنسا هي المثل الحى لفعل ذلك الوباء . غيرة الله على محارم المسلمين أكبر دلالة على خطر الزنا . أضرار الزنا ومصائبه بمرتكبيه . سفك الدماء واستحكام العداء من أثر ذلك الداء الذى هو جريمة الزنا . صيانة الأعراض شعار المسلمين . الزنا دين وكما يدين الفتى يدان . ما أعده الله للزناة فى الدنيا والآخرة . جريمة اللواط . إتيان البهائم . الاستمناء وأخطاره .

---

قال الله تعالى : ( ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا )

. . . الزنا هو الفسق والوقاع لما حرمه الله تعالى ، وهو بالغ فى الشناعة والقبح مبلغاً عظيما ، وإنما عظم أمره لأنه يهدم الأسس الاجتماعية العمرانية التى أرادت حكمة الله بها نظام الكون وتدبيره . فقد خلق الله من كل زوجين اثنين ليحصل الامتزاج والانتاج فى كل أنواع الحيوان والنبات ، وبهذا ينتظم العالم ويمتد أمده إلى الوقت الذي يريده صانعه الحكيم .

ومن الحيوان الانسان وهو أشرف أنواع الحيوان وأكرمها على الله . لقوله « ولقد كرمنا بنى آدم » ومن تكريمه له أن لم يتركه فى تناسله إباحياً

كالحيوان ، وإنما جعل له نظاما شرعياً ، فهو يختار أنثاه ، ويستبيح إتيانها بشريعة خاصة وضعها له وعلمه إياها ، ليكون النسل منتسباً إلى ما أنتجه . وبذلك تتنوع الانسانية إلى آباء وأجداد ، وأصهار وأحفاد ، كلّ ينسب إلى أصله ليتم بهذا النظام التعاون والتناصر والوراثة والانتساب .

« وهو الذى خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً » « والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة »

كل هذا لينتسب الابن إلى أبيه ، ويلحق الفرد بذويه .

أما الزنا فهو المعول الهدام لهذا النظام الالهي . فلو أبيح الزنا وتهوون فى أمره لأفضى إلى فوضى فى التناسل . ولما عرف الابن أباه ، ولضاعت المواريث ولم تكوّن الأسر والقبائل والشعوب . هذا التنويع العجيب الذى هو ثمرة تكوين الكون ونظامه .

لهذا كانت جريمة الزنا شديدة الخطر — بعيدة الأثر . أنظر إلى جريمة واحدة لجرائم الزنا خرج بها إلى الوجود نسل أثيم . فامتدت به يد الزمن وتناسل ، كيف تكون شناعته ! ! وعلى من تقع تبعته ! !

وإذا ذهبنا نعدد آثار الزنا وما يفعله في إفساد أخلاق من انتشر فيهم لما استطعنا إلى ذلك عدا . فهو يفسد المروءة . ويذهب بالايمان .

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : لا يزنى الزانى حين يزني وهو مؤمن . ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن . ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ( رواه البخاري ومسلم ) زاد النسائى فى روايته « فاذا فعل ذلك فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه » ( أى خرج عن حدوده التى التزمها )

وما ظنك بقوم لا يغارون على حرمهم . ولا يفزعون لحفظ كرامتهم ! ! إنهم ولا ريب كالأنعام بل هم أضل سبيلا .

وإن من آثار الزنا وإفساده لنظام المجتمع أنه يقضى على النسل تدريجياً ، فترى الأمة التى ينتشر فيها الزنا يقل عدد إنتاجها — لأن الرجال اعتادوا أن يستبدلوا بالزوجات خليلات ، لا يعبأن بالنسل بل يتخلصن منه ولو بالقتل للجنين كما حصل ذلك فى فرنسا . فقد انتشر فيها ذلك الوباء حتى أخذت في التناقص وضج المصلحون من ذلك وعرفوا به أنها صائرة إلى الفناء وأمثال هذا الشعب ممن يستهينون بأمر الزنا فاقدون للكرامة ، عارون عن الغيرة والحمية التى جعلها الله دفاعاً عن الحرمات .

ويكفى أن يعلم الانسان مقدار غيرة الله على محارم المسلمين ، وأنه جعل عقاباً أليماً لكل من يتهم مسلمة ولم يأت ببرهان قاطع ، حيث يجلد ولا تقبل له شهادة أبداً ، إلا إذا تحال وتاب .

ونظرة إلى ما أعد للزانى أو لمن يرمي المحصنات أو لمن يشيع الفاحشة فى المسلمين تكفى لمعرفتنا أن الله جل شأنه أحاط عفة المسلمين وصيانة أعراضهم بسياج من عنايته وحراسته ، فمن يحاول العبث بذلك السياج المتين ، فقد خرج عن دائرة الدين .

ثم انظر إلى من يصابون بالأمراض التناسلية . (كالزهرى والسيلان والسل الرئوى وضعف الأعصاب) وما إلى ذلك وابحث عن مصدر هذا وينبوعه تجده ناشئاً عن الزنا في الأغلب الأعم . مع أن الحكومات التى لم تأخذ بالشريعة الاسلامية فى سياسة أممها . وجعلت للمومسات نظاماً خاصاً وهو ما يسمى « بالكشف الطبى » لم تستطع بهذه الاحتياطات أن تحول دون تفاقم هذا

الخطر الجسيم .

فالزنا إذا انتشر في أمة أتى على صحتها وكيانها . بله دينها وإيمانها . وإذا انتشر في قرية رأيت قتلا وسفكا للدماء « إن كانت هناك نفوس أبية » ورأيت استخذاء وذلا ومهانة إن كانت هناك نفوس ضعيفة دنية .

وإن قرية يدور أمرها بين هاتين الحالتين لحريّة بنزول سخط الله بها . ويفسر لك هذا ما تراه من فقر بعض البلاد التي لا تقيم للعفة وزناً ، بينما ترى أخرى في رخاء . ولا فرق هناك بين القربتين إلا حماية الأعراض أو الاستهانة بها

فكم خرّبت دور واستؤصلت أسر وذلت بلاد وما كان لذلك الخراب ولا لهذا الاستئصال ولا لذلك الذل والضعة إلا سبب واحد هو الزنا . سواء أسروه أم جهروا به . فهو كالنار في الحطب مهما تراكم عليه أكوام منه فهو لا بدّ مشتعل ومندلع لهيبه حتى يأتي على الأخضر واليابس .

قال رسول الله ﷺ في الحديث الذي رواه الحاكم وقال صحيح الاسناد « إذا ظهر الزنا والربا في قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله »

فواجب على المسلمين أن يعرفوا أن صيانة الأعراض وحفظ الحارم هو شعار المؤمنين وفرائد العز والبركة . فيتمسكوا بدينهم . ويأنفوا لحرمهم ويعلموا أن الزنا دين ولا بد من اقتضائه ممن فعله عاجلا أو آجلا . فاذا ظهر فيهم بوادر هذه الجريمة فليعملوا على اجتثاث أصولها ، قبل أن يستفحل خطرها ، وليمسكوا ألسنتهم عن الخوض في الأعراض ، فان الخوض في الأعراض ينافي صفة الاسلام وعزة المسلمين .

إن الزنا على ما فيه من هذه المخاطر المادية والأدبية مذهب للمال ، مذهب بهاء . والرونق الاسلامي ، ومؤدّ إلى البؤس والفقر والشقاء ومخترم للأجل

كل هذا فى دار الدنيا مضموما إليه ما ينتظر الزاني من فضيحة وعار و تقيعة وشنار . وأما عقابه فى الآخرة فسخط الله وسوء الحساب وعذاب النار . وبئس القرار .

ومن الشنائع المستقبحة جريمة « اللواط » وقد نسبت إلى أول مرتكبيها وهم قوم لوط عليه السلام ، وكان من أمرهم أن زلزلت الأرض زلزالها بهم فصار عاليها سافلها ، ثم غشيت بمطر من سجيل (١) فأصبحت ديارهم بلقعاً وبيوتهم خاوية بما ظلموا ، وصدق قول الله تعالى عليهم ( فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك ، وما هى من الظالمين ببعيد )

ذلك أن هذه الجريمة تناني حكمة الله فى عمران الأرض ، وهى فى الأذواق السليمة مستقذرة ، تعافها النفوس الطاهرة ، وتشمئز منها الطباع الصحيحة ، وتفسد الشباب ، وتضعف النسل وتقلله بانصراف الفاسقين إلى قضاء شهواتهم فى هذه السبيل الخبيثة ، فيجب أن يكون عقابها أليما حتى تستأصل ، درءا لمفاسدها وأخطارها .

ونحن نحمد الله على أن هذه الجريمة لاستقباحها لا تكاد تظهر فى مصر إلا فى بعض العواصم على قلة .

كذلك جريمة إتيان البهائم وحكمها حكم اللواط فى الحرمة والشناعة ، ولا توجد هذه « إن وجدت » إلا فى بلاد الريف ولكنها والحمد لله تكاد

---

(١) حجارة صغيرة ، ونص التوراة ، فأرسل الله على « سدوم » « وعمورة » كبريتاً وناراً من السماء وقلب تلك المدن والدائرة المحيطة بها ( وسدوم وعمورة مدينتان كان يسكنها لوط وقومه )

تكون معدومة بفضل نقد الناس بعضهم لبعض ولأنهم يزوجون أبناءهم عادة في سن مبكرة مما يعصم الفتيان من هذه المنكرات .

ومن الآفات التي تفتك بالشباب فتكا ذريعاً عادة « الاستمناء » أو ما يسمى في الشريعة « بجلد عميرة » وهي : استنزال المني باليد .

وهذه الجريمة خفية ولا يكاد يخلص منها شاب ، بيد أن خطرها شديد فهي تضعف البنية ، وتهيء الجسم للاصابة بالسل الرئوي .

ومن أماراتها أنها تكوّن هالة زرقاء حول العينين ، وزرقة وكودة في الشفتين ، فضلا عن إضعاف الأعصاب ، واصفرار اللون ، ودوام الحزن والكآبة ، وضيق الصدر .

وإذا داوم عليها إنسان أفضت به إلى الخبال والجنون ، إن سلم من مرض السل .

وقد ألف كثير من الأطباء كتباً في بيان مضار هذه العادة ليقف عليها الفتيان والفتيات فيخلص الجميع من براثين هذه الآفة الفتاكة « ومن يهد الله فما له من مضل »

أعزنا الله بعز الاسلام ، وجملنا بالعفاف والصيانة ، إنه على كل شيء قدير .

# ( ٣٤ ) الخمـــر

تعريف الخمر : الخمر أم الكبائر ، العلة في تحريم الخمر وبيان أنها تأتى على العقل الذي هو مناط التكليف ، زهد إشراف العرب في الخمر في جاهليتهم حرصاً على المروءة ، طائفة ممن حرموها على أنفسهم ، أضرار الخمر صحة وأخلاقا ومالا وكمالا . الخمر آفة العمران تفتك بالأجسام أكثر مما تفتك الحروب . مناقاة الخمر لمقاصد الدين الحنيف وفضائله وآدابه ، الغرب سبب فى انتشار الخمر في بلاد الشرق . التمسك بالدين هو الحصن الحصين وأركن المتين لحماية المسلمين أثارة من كلام النبوة في شأن الخمر وشناعتها شربا وبيعاً وصناعة .

---

قال الله تعالى : « يأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والانصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون »

الخمر : كل سائل من شأنه أن يستر العقل ويضيع صوابه ، وقد نهى الله عن الخمر لأنها أم الكبائر تشجع الجبان فيرتكب من الجرائم ما لا يستطيع أن يرتكبه وهو فى صحوه .

ولما كانت الخمر تعطل العقل الذي هو مناط التكليف وبه نور الهداية والفارق بين الحرام والحلال حرمها الله وبالغ فى تحريمها ، وانصرف عنها فى الجاهلية عدد من عقلاء العرب وأشرافهم ، لأنهم رأوا فيها ما ينافى المروءة والوقار ، فممن حرمها على نفسه طول حياته أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، أخرج ابن عساكر عن أبى العالية الرياحي قال : قيل لأبى بكر الصديق فى مجمع من أصحاب رسول الله ﷺ هل شربت الخمر فى الجاهلية ؟ فقال : أعوذ بالله ،

فقيل له ، ولم ؟ قال : كنت أصون عرضي وأحفظ مروءتي . فان من شرب الخمر كان مضيعاً عرضه ومروءته .

وممن حرمها على نفسه أيضاً عبد الرحمن بن عوف ، والعباس بن مرداس وقد قيل له حين كبر ، لو أخذت من الشراب شيئا فانه يزيد في قوتك ، فقال لا أدخل برأسي شيئا يحول بيني وبين عقلي . وكذلك كان عثمان بن عفان وغيرهم

قيل : سقى قوم أعرابية مسكراً فأ . ـ بها . فقالت : أيشرب نساؤكم هذا الشراب ؟ قالوا : نعم . قالت : زنين ورب الكعبة ، إذاً ما يدرى أحدكم من أبوه . ولقد صدق الذى قال :

واهجر الخمرة إ ـ كنت فتى * كيف يسعى في جنون من عقل

وهي فضلا عن تحريم الدين لها فيها آفات تفسد الأخلاق وتأتى على الصحة فتورث الجسم أمراضاً فتاكة ، وبذهابه المال فتورث الفقر والشقاء ، وبذهابها ذهاب الرخاء والنعمة والراحة ، وكم خربت دوراً ، وهدمت قصوراً ، وأذلت أعزاء وفككت أسراً كانت ترتع في بحبوحة النعيم فأصبحت تتردى في غمرات الحاجة والهون .

إن الخمر آفة العمران ، ولقد تفتك بكثير من الناس أكثر مما تفتك بهم الحروب والأوباء ، يرشدك إلى هذا أن بعض الدول الكبرى وهي تدين بغير الاسلام ولا ترى في معاطاة الخمر إثماً ، وقد حرمت على شعوبها الخمر ، كما فعلت أمريكا بالأمس ، وإن كانت قد عادت فأباحتها بدعوى أن تحريمها مصادرة للحرية الفردية ، تلك الحرية التي هي أعز ما وهبه الله للانسان .

أما دول الأسلام فأن دينها يحظر عليها تعاطيها بل وضع الدين حداً لشاربها وهو الجلد . ذلك لأن الدين الأسلامي يريد بالمسلم العزة والكرامة والغنى والوقار

والصحة . وهذه كلها كنوز الحياة يتمتع بها المسلم قانعاً راضياً شاكراً . ولكن الغربيين وقد دخلوا الشرق وغلبوا أممه على أمرهم جلبوا هذه الآفة الفتاكة ونشروها في الديار الأسلامية . ولم تقو حكومات الشرق على منعها . وسرعان ما امتلأت حوانيت الخمر بالمسلمين فقراء وأغنياء . وساعد الجهل على إتيان تلك السموم . وطاب لهم مراتعها فأثرى الغربيون الغرباء . وافتقر الأهلون البؤساء ، فكنت ولا زلت ترى ذلك الأجنبي يفد على بلاد المسلمين صعلوكا حقيراً . فيتخذ له حانوتا صغيراً . ويأتي بذلك السم الزعاف يتهافت عليه الناس تهافت الذباب على الشراب . أو تهافت الفراش على النار . فيسكرعون من ذلك الحميم ، ثم يذهبون فيرتكبون ما حرم الله من سرقة أو سلب أو نهب أو قتل أو انتحار . يحصل ذلك وتمتلىء السجون بهؤلاء الأشقياء بين سمع الحكومة وبصرها .

ولو أننا عملنا بديننا ، وسرنا في حياتنا على قوانين شرعنا ، لازدهرت البلاد ، وسعدت العباد ، وذهب البلاء ، وعم الرخاء ، وصحت الأبدان ، وعم الأمن والأمان ، وكثر المال ، وصلح الحال ، ولكننا نسينا الله فأنسانا أنفسنا وبعدنا عن تعاليم شريعتنا ، فكان جزاؤنا أن ذقنا الوبال والنكال ، وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له ، وما لهم من دونه من وال .

وعلى الجملة فان مضار الخمر تتناول كما قدمنا ذهاب الصحة والعقل وضياع الأموال وإيقاع المرء في الفقر المدقع ، والخراب العاجل ، والموت السريع .

هذا وقد ورد في سنة رسول الله ﷺ أحاديث كثيرة في ذم الخمر وتحريمها منها ما رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن .

ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن .

وروى ابن ماجة أن رسول الله ﷺ قال : لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه .

مما تقدم نعلم أن الكتاب والسنة وفيا الحكم والنصح للمسلمين ببيان لا زيادة بعده لمستزيد ، ومن يهد الله فما له من مضل ، ومن يضلل الله فما له من هاد ، هدانا الله إلى السبيل القويمة ، وأطلعنا بسياج من توفيقه وعنايته وهو سبحانه ولى التوفيق .

## ( ٣٥ ) المواد المخدرة

الأنسان أحسن المخلوقات صورة وأكرمها عند الله منزلة — تعاطي المخدرات معول يهدم الهيكل الأنسانى ـ المخدرات سموم تضر الأبدان والعقول المخدرات تغرى بالكسل وتؤدى إلى الفاقة والعوز ـ عدوى المخدرات تنتقل إلى الأعقاب بالوراثة انتشار المخدرات بمصر إلى درجة عظيمة . جناية الغرب على الشرق فى جلب هذه المواد اليه — واجب وزارة الصحة ، وعلماء الوعظ والارشاد فى النهي عن هذه الآفة .

قال الله تعالى : ( لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون )

أبدع الله في الصورة الانسانية ما شاء أن يبدع ، وجعل الانسان أكرم مخلوقاته عليه بما منحه من نعمة العقل الذى هو قبس من نوره سبحانه وتعالى فكان من الجرم الفادح أن يفسد ما بناه الله ، وأن يعمل على تقويض ذلك البناء

العظيم ، بتعاطيه المواد المخدرة . كالحشيش والأفيون . وما اليها من كل ما يخدر الجسم وينهك نشاطه ، ويفسد العقل ويأتى على الصحة .

وهذه المخدرات جميعها على اختلاف أنواعها لا تخلو من السموم ، ولها تأثيرات مضرة بالأبدان والعقول والملكات فانها تحرق الدم وتوقف حركته الطبيعية وحينئذ يقع الخلل فى توزيع الغذاء على جميع أجزاء البدن فتضعف الأعضاء ويفسد نظام البنية ، وتستولى العلل والأسقام على من يتعاطونها ولذلك تراهم في حالة سيئة يقاسون ألم الاختلال ، ويتحملون مضمض الأمراض تعلو وجوههم الصفرة ، ويتخلل أجسامهم النحول والذبول . فتتبدل صورهم الحسنة بصور دميمة ، وتغشى نواظرهم سحب تمنعهم من الأبصار ، فاذا أرادوا النظر إلى شيء حملقوا بحدقاتهم وأداروها بين الجفون لعلها تدرك شيئا مما وجهوها اليه فترجع خاسئة تسكب المدامع على ما أصابها من الضعف وتهمى العبرات على ما نزل بها من الخيبة والكلال ، فضلا عن ضعف صحتهم بعد القوة والنشاط وجبنهم عن مصادمة أي حادث إذا نزل بهم أدنى مكروه . وحبهم للراحة والبطالة والكسل . فلا يسعون على معاشهم ولو أجهدهم الفقر ومضهم نصب الاحتياج ينهشهم ناب الفقر فيتقاعون . وتطالبهم عيالهم بالسعى فيقعدون حتى إن الواحد من الفقراء يقدم شراء هذه « المواد المخدرة » الضارة على قوته وقوت عياله ومن تلزمه نفقتهم من الضعفاء . ويضيق على نفسه ومن معه فى المؤونة والكسوة ويوسع على نفسه ( فى كيفه ) فلا يبالى شبع وشيعت عائلته معه . أوجاع وجاعوا . ماذام ( مخه عمرانا ) وسيان عنده الغنى والفقر . والثروة والاحتياج ما دام مراعياً ( لمزاجه ) فأنا لله وإنا اليه راجعون .

وقد أثبتت قواعد علم الطب ونطقت التجارب والمشاهدات بأن أمثال

هذه العلل والأمراض الجسمانية . والعاهات والآفات العقلية والنقائص والمذام الخلقية تنتقل من الآباء إلى الأبناء بالتوارث . وعلى هذا فالذين يتعاطون « المواد المخدرة » الخبيثة لم يختصوا أنفسهم بالاساءة . ولكنهم أساءوا اليها وإلى ما يتناسل منهم في مستقبل الأزمان . ثم أنهم بأخلاقهم وأطوارهم وأفكارهم أعدى لمعاشريهم ولكل من خالطهم من الجرب . فكانوا وبالا عظيما على بني النوع الأنساني وأشد عليه ضرراً من الوباء والطاعون . فان غاية ما في الوباء إبادة بعض الأجسام وأما هؤلاء فانهم يبيدون الأجسام ويميتون العقول ويشتتون شمل الآداب . والوباء لا يبقى إلا زمناً قليلا ثم يزول بزوال الأسباب وهؤلاء لا ينقطع ضررهم بفنائهم — بل يمتد ويدوم كثيراً من الأجيال .

ومع كل ذلك فأنا نرى « المواد المخدرة » تنتشر في البلاد وتتناقلها أبناؤها من المدن إلى الأرياف ، وسموا استعمالها تمدناً مستحسناً ، وانتقلت بالعدوى من ذوى النعمة والمترفين . إلى الفقراء والمساكين .

ولقد كثر عدد الذين يتعاطونها في بلادنا في هذه الأيام . فلم توجد طائفة من أهل القطر ولا بلد من الأرياف إلا وفيها من أولئك القوم عدد ليس بالقليل وكثيراً ما صدرت الأوامر والمنشورات من الحكومة بمنع تعاطيها . وحظر الاتجار فيها وتشديد العقاب على المخالفين . ولكننا لا نزال نرى بائعيها وآكليها وشاربيها يجمجمون في الأسواق ويقلقون المارة ويشوشون الأفكار ويخلون بالآداب ، وينتهكون حرمة الشريعة المطهرة ، ويفسدون أخلاق العامة على رءوس الاشهاد بدون مبالاة ولا خوف من وعيد ، وقد كثروا جداً وزادوا عن الحد ولم يعتبروا بالجزاء ولم يخافوا من الواحد الأحد .

هذا : ونحن نعجب العجب كله لأن مادة المخدرات بمختلف أنواعها يفد

علينا من الغرب ، كما وفدت الخمر من قبل ، فبلاد اليونان والهند وبعض بلاد الأتراك كأزمير وغيرها تزرع الحشيش والخشخاش ، وتبعث بها فى طى الخفاء وبطرق جهنمية إلى هذه الأمة المسكينة ، فتسلبها أموالها وصحتها وهناءها . وتتمتع هذه وتلك بثروة واسعة من مال البلاد التى صارت طعمة للطامعين ولقمة سائغة للآكلين .

وعلاج الأمة من هذه الويلات أن تعنى حكومتها بتعليم أفراد الشعب على لسان وزارة الصحة ما يضرها وما ينفعها فى نشرات أسبوعية أوشهرية توزع على البلاد مجاناً كما تعنى بدراسة هذه الآفات فى مدارسها . ليعلم النشء مقدار أخطارها وأضرارها حتى إذا بلغ الناشىء أشده ، كان بينه وبينها مانع علمى ورادع خلقى .

كما ينبغي أن يقوم المرشدون بين حين وآخر بالتخويف والتحذير من تعاطى هذه السموم في محاضرتهم ودروسهم وارشادهم ، فان الذكرى تنفع المؤمنين.

أما إذا تركت الحكومة هؤلاء القوم وشأنهم ولم تضيق عليهم توسعوا فى الأمر واتسع الخرق على الراقع وذلك مما يعود على البلاد بالفقر واختلال الأمن والضعف العام فى الصحة ، إذ يصبح الناس ما بين مريض ومتقاعد عن العمل ومفضل للراحة والجوع ، ومختل الادراك فاقد الشعور ، وكل ذلك وبال يعود على البلاد . بالشر والفساد .

كلأ الله البلاد والعباد بعين عنايته ، وعصمها بروح من عنده ، إنه بعباده رءوف رحيم .

# ٣٦ السرقة وضررها على المجتمع الانساني

تعريف السرقة وبيان أنها عمل أنكرته كل الشرائع وذمه كل الناس — أسرار تحريم السرقة — القانون الوضعي المعمول به في مصر ليس كافياً لردع السارقين الخصوصية شاملة المعنى واسعة المدلول والنطاق — المضار الاجتماعية والاقتصادية والخلقية والجسمية للسرقة — السرقة أنواع شتى ومرتكبوها طوائف عدة . مثل فى ذلك — مميزات طائفة النشالين — إشتراك الرجال والنساء فى جريمة السرقة — واجب الحكومة نحو القضاء على جريمة السرقة — أمانى وآمال . نرجو ويرجو معنا كل مسلم أن تحقق فى القريب العاجل .

قال الله تعالى : والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا . نكالا من الله والله عزيز حكيم .

السرقة هى سلب مال الغير من غير حق شرعى .

والسرقة عمل أنكرته كل الشرائع وذمه كل الناس ، لتعدى السارق أو السارقين على ملك الآخرين وسلبهم إياه .

وهي حرام حرمها الله ورسوله ، والسر فى تحريمها أمور منها : أن يعيش الناس آمنين على أموالهم وما كسبته أيديهم ، لأنه إذا لم يعاقب السارق بما يزجره ويكف يده امتدت يد كل طامع لا يخاف الله — وكثير ماهم — إلى سلب مال ذوى الكسب الصحيح . وفى ذلك من الفوضى والاختلال مافيه .

ومنها شمول الأمن ، وصون الأرواح ، لأنه إذا أبيحت السرقة تزعزع الأمن ، ولم تحفظ الأرواح ، فان المرء ضنين بأمواله ، حفيظ لها .

ومنها الحث على العمل الذي لاتصلح المدنية بسواه ، فاذا ذهب أولوا البطالة

بأموال ذوي الجد والاجتهاد اكتفوا بها ولم يميلوا قط إلى الكسب بالسبل الصحيحة . وانقبض العاملون عن العمل وانتظموا فى سلك الكسالى فتتعطل الأعمال ، وتفسد الأحوال ، ويصير اليسير عسيرا ، وحلو الحياة مريرا ، وذلك ثل لعرش السعادة وهدم لبناء المدنية .

والسرقة أكثر الجرائم وجوداً وأوسعها انتشاراً ، لأن القانون الوضعى المعمول به في مصر هين لين فى جنب هذه الآفة الضارة ، ولو أنه نفذ العقاب الشرعى الدينى فى هذه الجريمة لما رأيت لها أثراً . وإذا رأيته كان نادراً ، إذ من الذى يمد يده إلى السرقة وهو يعلم أن جزاءه الذى ينتظره والذى أعد له هو قطع تلك اليد الأثيمة ثم يقدم عليها ؟ ! لا شك أن هذا يكون أكبر رادع للسارقين ، وأعظم مانع للمجرمين . لأن هذا الجزاء هو الذى قرره الآله العظيم العالم بطبائع النفوس الرحيم بالخلق ، وقد جربه المسلمون زمناً طويلا فنجح وأفاد ، ولكن قد شذ فريق من الناس فتوهم أن ذلك قسوة على الانسان فأخذ يضع للسارق عقوبات أخرى كالحبس ولكنه لم يفلح فى سد ذلك الباب الخطير

ولا تزال عصابات اللصوص تهاجم الناس حتى فى أرقى البلاد تمديناً وأحرصهم على احترام القانون ، وإن ذلك يعد فشلا عظيما فيما وضعوه من أنواع العقوبة . ألا فليقلعوا عن ذلك الوهم وليعلموا أن الله أرحم بعباده منهم ، وأن اليد التى تعيث في الأرض فساداً هى يد مهينة بقاؤها مضر كالعضو الذى يهدد بقاؤه على الجسم كله بالأذى ، فمن العقل والحكمة بتره حتى تعيش الأمة آمنة على نفسها وما لها .

وقد لعن رسول الله ﷺ السارق وجعله مطروداً عن رحمة الله وخارجا من حظيرة الدين الاسلامى حيث يقول فى الحديث الذي رواه البخارى ومسلم

والنسائى . عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ، ويسرق الحبل فتقطع يده .

ففى هذا الحديث الشريف دليل على أن الدين الاسلامي يعمل دائماً على سد الذرائع وأسباب الفساد ، كما أنه يشير إلى أن سرقة الشيء الصغير تجر إلى سرقة الشيء الكبير ، وأن الواجب على الآباء عدم التهاون مع الأبناء حتى لا تصير الجريمة خلقاً لهم .

وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن » وزاد النسائى فى روايته « فاذا فعل ذلك خلع ربقة الاسلام من عنقه » .

هذا وقد علمت مما تقدم أن التعدى على ملك الآخرين وسلبه يعد سرقة وعلى ذلك فمن اعتدى على ملك غيره وحرمه ثمرة جهوده وعمله كان سارقا ولصاً

وليس وصف اللص مقصوراً على من يسطو على منازل الناس لنهب أمتعتهم بل اللص هو كل انسان يعتدى على ملك الآخر ويحرمه الاستفادة منه على أي وجه كان .

فالتاجر الذى يخدع المشترى من حيث الوزن أو النوع يكون من غير ريب سارقا غاشاً . والتاجر الذي يغلو فى رفع أسعار السلع فى أزمات الحروب ، وعهود الشدائد يكون حكمه حكم السارق : لأنه تدرع بالظروف العصيبة ، فجعلها وسيلة لاطماء فزاد فى أثمان ما يبيع بما يخرج عن حد العقل والاعتدال ولولا الضرورة القاسية ما اشترى الناس منه بالثمن الذي فرضه عليهم .

وأمثال هذا تكلف الحكومة بالقيام فى وجهه . ووقوفه عند حده .

كما حصل ذلك إبان الحرب . إذ جعلت تسعيرة لضروريات الحياة حتى لا يرهق التجار الجشعون جمهور الناس ، ومن المحزن أن نقول إن هؤلاء التجار الجشعين إحتالوا للكسب غير المشروع بحيل عجزت معها الحكومة عن تنفيذهم للتسعيرة التى وضعتها لهم ، فأثرى هؤلاء اللصوص ثراء فاحشاً ، وأصبح بعضهم من أرباب الملايين والضياع ، ونسوا أن ثرواتهم الطائلة مصدرها اللصوصية ، ومخالفة الشرائع والانسانية ( ألا ساء ما يفعلون )

والصانع الذي يقدم للناس عملا منقوصاً غير متقن يكون متعدياً على حق غيره وسارقاً .

والعامل الذي يتوانى فى عمله ويضيع وقته سدى في أثناء غياب صاحب العمل يكون متعدياً على حق غيره وسارقاً — وصاحب العمل الذي ينقص أجر العامل عما يجب أن يكون عليه يكون متعدياً على حق غيره وسارقا .

أما من يتجنب ذلك وأمثاله ويتعفف عنه فهو الأمين الذي يرعى لكل ذى حق حقه ، ولا تمتد يده لشيء لا يملكه .

وليس السارق وحده هو الخائن بل يشاركه فى الجرم كل من يساعده على السرقة بتشجيعه أو باخفاء المسروق .

فالرجل الذى يدفع أجر القطار أوالسيارة أو الترام مثلا ولا يقضى العامل « التذكرة » يعد خائناً ، لأنه شجع ذلك العامل على اغتصاب مال الحكومة أو الشركة — والذي يدفع بعض الثمن ولا يأخذ التذكرة شريك فى السرقة .

والحارس الذى يتغافل عن اللصوص وهم يسرقون شريك لهم فى جرمهم يعاقب معهم أمام القانون .

ومضار السرقة كثيرة إجتماعية ، واقتصادية ، وخلقية ، وجسمية .

فمن مضارها الاجتماعية إختلال الأمن العام ، إذ كل مالك يصبح غير مطمئن على ماله ويخاف من اعتداء السارقين عليه . ومد أيديهم الأثيمة إليه . فتقع بينهم العداوة والبغضاء ، ويتربص كل بصاحبه الدوائر وينزل به الأذى ،

ومن مضارها الاقتصادية أن بها تضيع الأموال بامتداد أيدي ذوى الاطماع السافلة اليها والعبث بالأموال التى اكتسبها الناس بعملهم ، وادخروها لمصلحتهم .

ومن مضارها الخلقية كثرة البطالة الذميمة. لاعتماد السارقين على مايسرقونه وتركهم الكسب من السبل الصحيحة ، فينفض العاملون عن العمل ، وتختل شؤون الحياة

ومن مضارها الجسمية فقد الأرواح ، إذ المرأ ضنين بأمواله حفيظ عليها. فيدافع عنها مااستطاع، كما يدافع عن عرضه ، فتنشأ المشاجرات ، وتراق الدماء وتزهق الأرواح .

والسرقة أنواع شتى ، ومرتكبوها طوائف عدّة ، تخصص كل فريق بسرقة نوع مخصوص .

فمنهم من يسرق الماشية ليس غير ، ومنهم من يسرق خزائن المال ، وهؤلاء على علم بالمواد الكيمائية يستعينون بها على فك لحام الخزائن مهما كان نوعها .

ومنهم الهجامون ، وهم سراق المنازل يصطنعون المفاتيح ، أو اللاقطة . وهى آلة صغيرة لا يستعصى عليها قفل مهما كان نوعه .

ومنهم الهفافون ، وهؤلاء يمرون على الحوانيت التى قد وضعت شيئاً من أمتعتها خارج الحانوت عرضة للناظرين ، فاذا مرّ أحدهم كان كالنسيم العابر والسهم المارق يلتقط شيئاً ثم يغيب عن الأبصار كأنما ابتلعته الأرض، وكثيرا ما هم

ومنهم الفخاذون ، وهؤلاء يدخلون متاجر الأقمشة الحريرية أو الصوفية أوماشاكلها . وقد وضعوا مشابك في أحزمة على بطونهم . فيدخل أحدهم الثوب الحرير تحت ثوبه معلقاً بأحد المشابك ، بينما الثانى يشاغل التاجر ، ثم يخرجان وليس معهما شيء في ظاهر الأمر .

ومنهم النشالون ، والسارقون بالاكراه ، وأصحاب الطريقة الأمريكانية المعروفة ، والخطافون والمستعينون بالكلوروفرم والمواد المخدرة إلى غير ذلك من الطرق الغريبة المدهشة .

ومن مميزات هذه الطائفة سرعة اليد ، وسرعة الخاطر وشدة الذكاء ، وقوة الدهاء.

وليست حوادث السرقة قاصرة على الرجال . بل هناك فئة من الصبية والنساء ، قد تلقوا أساليبهم المختلفة على أخطر أساتذة ( النشل ) فبرعوا فى ارتكاب هذه الجرائم بفضل تدريبهم ، فأصبحوا من أمهر النشالين ، وأخطر المجرمين .

والواجب على الحكومة إذا أرادت أن تقلل من جريمة السرقة أن تشدد العقوبة على السارقين وأن تنكل بهم تنكيلا يعتبر به غيرهم ، وأن تذيقهم أنواع الآلام وتنفذ فيهم الحكم الاسلامى الذي أثبتت التجارب أنه هو الدواء الوحيد لقطع هذه الجريمة من الوجود .

وهذا أمر مستطاع ، لاسيما وقد عمت هذه البلوى فى جميع المدن والقرى فى القطر المصرى الذى هو منار الشرق ، والقدوة لجميع الممالك الاسلامية في العالم .

وكم يتمنى المسلم حقاً لو يكون الاسلام وأحكامه وتعاليمه هو القانون المعمول به ، إذاً لتلاشت تلك المخازى ، ولتطهرت تلك البلاد من هذه الأرجاس

التى تقض على الناس مضاجعهم ، وتهددهم فى الأموال والأرواح .

وإنا لواثقون أن اليوم الذى تنفذ فيه الممالك الاسلامية أحكام الشريعة وفي طليعتها المملكة المصرية غير بعيد ، وبخاصة وقد قامت المملكة الحجازية السعودية بالعمل بالشريعة الاسلامية الغراء في تنفيذ حدود الله في السارقين وقطاع الطرق والخارجين على أحكام الدين ، فاستتب الأمن فى ربوعها . وعم الرخاء جنباتها ، وأصبحت مشرق النور وعلم الهداية ، ولابد من أن تحذو ممالك الاسلام حذوها فيعود للمسلمين مجدهم وعزهم والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم .

---

## ٣٧ خطر ذى الوجهين وذى اللسانين ديناً واجتماعياً

تصوير بيانى لذى الوجهين وذى اللسانين . وجود هذا النوع فى زمن الرسالة واطلاع الله ورسوله على نوايا المنافقين وما أعد لهم دنيا وأخرى . خطر ذوي الوجهين وذوى اللسانين فى الشعوب الضعيفة . ومما لأمهم للغاصبين وإعانتهم على ضياع حرية بلادهم في مقابلة ثراء يكافئون به من سادتهم المتغلبين . آفة الشرق وجود الأذناب الذين يناصرون الغاصبين وما يجب على كل أمة من أمم الشرق أن تتجرد للقضاء على هؤلاء الأذناب . المنافقون فى الوطنية مصدر كل شر كما أن المنافقين في الدين كانوا مصدر كل شر وحرب . مشابهة بين عمل المنافقين فى الوطنية وبين عمل المنافقين فى زمن الرسالة . والآثار المتشابهة فى الحالين . انتشار النفاق واتصاف كثير من المسلمين به حتى عم بلاؤه سببه إفهام الخطباء الناس أن دينهم صلاة وصوم وعبادة ولا يفهمونهم أن الدين يعنى بالمعاملات أكثر من عنايته بالعبادات . سلاح المقاطعة جزاء للمنافقين وطنية ودينا .

قال الله تعالى : ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام ، وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد ، وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد .

لسنا في هذا المقام بسبيل الكلام على تعريف النفاق ، ولا بسبيل بيان أضراره ، وإنما كلامنا الآن في نوع منه خطير يقع فيه أكثر الناس وهم يجهلون أنهم يخوضون في بحار النفاق دون أن ينتبهوا ، عادة مرن عليها الناس وألفها بعضهم من بعض .

هذا النوع الخطير هو نفاق ذي الوجهين الذي عناه الرسول الكريم ﷺ بقوله في حديث رواه البخاري ومسلم : ( وتجدون شر الناس ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه .

فالانسان في الحقيقة ونفس الأمر لا يكون له وجهان ولا لسانان ، وإنما إذا تكلم مع قوم كلاما وتكلم مع آخرين كلاما يغاير ويضاد كلامه الأول بقصد إيغار الصدور ، وتوليد الشرور ، كان ذلك منزلا منزلة من في فيه لسانان .

كذلك إذا لقي الناس بوجه ولقي آخرين بعكسه وضده كان هذا بمنزلة وصورة من له وجهان ، وإنما من كان هذا شأنه أشد الناس خطراً لأنه يخفي الحقيقة ويظهر ضدها . أو يرضي الناس إذا حضروا ويغضبهم إذا غابوا .

روى البخاري عن محمد بن زيد أن ناساً قالوا لجده عبد الله بن عمر رضي الله عنه : إنا لندخل على سلطاننا فنقول بخلاف ما نتكلم إذا خرجنا من عنده ، فقال : كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله ﷺ .

كان على هذه الشاكلة قوم من منافقي العرب الذين يسكنون المدينة

وما جاورها دخلوا فى الأسلام بألسنتهم ولم تؤمن قلوبهم ، وانحازوا خفية إلى أحبار اليهود المجاورين لهم . يمدونهم بأفانين من الكذب لمعاداة الرسول والمؤمنين وهؤلاء كانوا سوساً ينخر فى شعبة الأسلام ، وكان الله تعالى يطلع رسوله على خفايا أمورهم ليكون هو والمؤمنون منهم على حذر .

فأنت تسمع قوله تعالى : ( وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم )

تسمع ذلك فترى هذا النوع الخبيث من الناس فتعرف مقدار خطر هذا النوع منهم . وأن الله قد أعد لهم أنكى أنواع العذاب بفضيحة الخزى ووصمهم بين الناس بالسوء والشر فى الدنيا ولهم في الآخرة عذاب أليم .

روى أبو داود وابن حبان فى صحيحه ( من كان له وجهان فى الدنيا كان له يوم القيامة لسانان من نار )

وقد بين الله سبحانه وتعالى طريقة المنافقين إذ ذاك فقال : وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا . وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون .

ومن أجل أن المنافقين كانوا خلطاء المسلمين والمعدودين منهم ، وبحكم ذلك يطلعون على أسرارهم والخطط التى يضعها الرسول لمحاربة المشركين فيفشونها ، كانوا لهذا أشد خطراً من الأعداء الصرحاء ، ولولا أن الله تعالى عاصم نبيه ومؤيد دينه — ولو كره المشركون ، لولا أنه كذلك لكانت فتن المنافقين قد أطفأت هذه الدعوة وأتت عليها ، هذا ما قصه علينا رب العزة من أمر هؤلاء وقد كانوا ذوى وجهين ولسانين ، وإنك لترى هذا الضرب من الناس فى عصرنا هذا وتتبينه جلياً فى الأمم المغلوبة على أمرها ، حيث ترى فريقاً من

المنافقين فى الوطنية يسارعون إلى الغاصبين يتملقونهم ويتقربون اليهم باظهار مواضع الضعف فى أمتهم ، وكيف يستولى الغاصبون على موارد هذه الأمم يفعلون هذا لقاء مال يثرون به بعد عدم ، فاذا انقلبوا إلى مواطنيهم أظهروا الوطنية وأنهم يعملون على نفع بلادهم ، فهم يخادعون شعوبهم ، ويوالون أعداءهم وهم في الحقيقة على بلادهم شر من أعدائها الغاصبين ، لأن الأمة تستطيع على كل حال أن تتقى عدوها الصريح ولكنها لا تستطيع أن تتقى هؤلاء الأوغاد الذين يعملون فى الخفاء على النكاية ببلادهم وبيعها بيع السلع ، وإن الأسف ليملأ قلب المؤمن وهو يرى كل أمة شرقية مسلمة وقد قبض على تلابيبها غاصب من أمم الغرب لا عون لهم ولا قوة إلا أبناء هذه البلاد ، فالغاصب ينظر بعين الخائنين ويبطش بأيديهم ويتوصل إلى ما ربه بعونهم .

فلو أن أمم الأسلام قضت على عناصر النفاق كل فى وطنه وطهرت البلاد من هؤلاء الأذناب الذين تجردوا من الضمير والدين والشرف ، إذن لسادت أمم الأسلام وعلت مكانتها .

نعم إن المنافقين فى الوطنية لا تجنى البلاد منهم إلا شراً ، كما أن المنافقين في الدين كان المسلمون لا يجنون منهم إلا شراً .

يقول الله تعالى فى شأنهم وقد عزم المسلمون على الخروج للغزو ( لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا [1] خبالا [2] ولاوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة [3] وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين )

فبين سبحانه وتعالى أن هؤلاء المنافقين تنتقل العدوى منهم إلى الضعفاء

١ — فساداً وشراً . ٢ — أسرعوا بينكم باثارة الفتنة بالنميمة أو الهزيمة ٣ — ضعفاء فى اسلامهم يسمعون لهم ويقعون فى حبائلهم .

في إسلامهم ، فيكون وجودهم بين المسلمين كالوباء والجرب المعدى .

وكذلك شأن المارقين فى الوطنية يسممون أفكار الضعفاء من المواطنين ويصورون لهم الباطل فى صورة الحق ، والبهرج فى صورة الصحيح .

وهذه العدوى الأخلاقية التى منشؤها جراثيم النفاق هي التى فككت رابطة المسلمين وفصمت عدى الجماعة ، وهي التى سهلت لهم سبل التقاعد عن العمل الموصل للسعادة ، سواء فى ذلك المنفعة الدينية ، أم المنفعة الدنيوية .

وإنما بينا ضرر النفاق فى الجماعات وفي الأمور الكلية لأن نتيجته أخطر وأسوأ عاقبة من نتيجته فى الأفراد .

تصاحب الرجل تحسبه متديناً لأنك تراه يغشى المساجد ويؤدى المكتوبة وغيرها مما يقع بمرأى ومسمع من الخلق وتسمع إليه فاذا حديث لا تنكره فتظن أن الرجل مؤمن ، فاذا خالطته فى معاملة رأيت أنك كنت مخدوعاً وأن تلك المظاهر كانت برقاً خلباً ، وأن ضميره خلو من صحيح الأيمان ، نفاق فيما يأكل من حلال أو حرام ، وتهاون في أداء ما عليه للناس ، وتهاون بأمر الدين كله ، فكل مظاهرة رياء فى رياء .

وتصاحب آخر فتراه على هذه الشاكلة أو أشد نكراً ، وهكذا . . .

وربما كان سبب هذا تقصير بعض خطباء هذا العصر فى إفهام الناس حقيقة الدين الأسلامي وتعريفهم أن الصلاة والصوم وما اليها مما يتعلق بالعبادة البدنية هو كل شيء ، فأصبح المسلم يعتقد أنه متى أدى هذه الأعمال ولو صورياً فقد أدى جميع ما يطلب منه .

وكان عليهم أن يعنوا بتعريفهم أن الدين هو العقيدة والعمل معاً ، بمعنى أن المسلم يجب أن يكون قلبه طاهراً من كل رذيلة ، منطوياً على كل فضيلة ، وفي

مقدمة ذلك كله أن الله تعالى لا يعبأ بعمل مالم يكن خالصاً من كل شائبة وأن يعرفوهم أن المسلم لا يرجو إلا الله ، ولا يخاف إلا الله ، ولا يعلق أملا إلا بالله ، وأن جميع ما يلاقيه الأنسان من خير أو شر قد فرغ الله منه ، فلو أن أهل الأرض قاطبة حاولوا أن يمنحوه مالم يسبق علم الله به لما استطاعوا إلى ذلك سبيلا ، ولو اجتمعوا كذلك ليضروه بأمر لم يسبق به القضاء لما استطاعوا إلى ذلك سبيلا .

قال تعالى : (ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها ، إن ذلك على الله يسير ، لكيلا تأسوا على ما فاتكم ، ولا تفرحوا بما آتاكم ، والله لا يحب كل مختال فخور )

إذا عرف كل فرد من المسلمين ذلك ، وأيقن أن الدين الأسلامى الحنيف يعنى بالمعاملات أكثر من عنايته بالعبادات ، رعاية لمصالح العباد ، وقف الجميع عند حدود دينهم ، وزالت تلك المطامع من نفوسهم ، وأقاموا بينهم وبين المنافقين سياجا من الاحتقار والازدراء ، فيجازى المحسن على إحسانه كما يجازى المسىء على إساءته .

وصفوة القول أن المنافقين يجب أن يهجروا . ويقاطعوا مقاطعة تامة تشف عن معرفة الناس بحقيقتهم . ليكون ذلك خزيا لهم فى الدنيا ، ولهم في الآخرة عذاب عظيم .

وإنما نلجأ مع هؤلاء إلى سلاح المقاطعة لأنه أمضى سلاح يطهر البلاد من شر هؤلاء المنافقين الأوغاد ، فلنا فى رسول الله إسوة حسنة ، وقد قاطع الرسول الكريم ﷺ الذين تخلفوا عن الغزاة من غير عذر ، وقاطعهم أصحابه فلم يكلموهم ولم يسلموا عليهم ولم يتعاونوا معهم ، حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت

وضاقت عليهم أنفسهم ، وظنوا ألا ملجأ من الله إلا إليه ، إلى أن تاب الله عليهم فانتهت بالتوبة قطيعتهم ، وصلح بذلك أمرهم .

فكذلك ينبغي أن تكون معاملتنا لهؤلاء المارقين من الدين ومن الوطنية الخارجين على أمتهم ، حتى يعودوا إلى الأخلاص ، وبهذا تكون الأمة جميعها قلباً واحداً ، ولساناً واحداً ، متراصة في وجه أعدائها ، فتتم لها العزة والنصر المبين .

نسأل الله تعالى أن يقي البلاد شر الماكرين ، وأن يطهر قلوب المسلمين ويقطع دابر المنافقين ، حتى يعيش الناس في بلادهم وأوطانهم آمنين .

## ٣٨ تذكير الناس بأنعم الله عليهم

كفران الانسان وكرم الرحمن . نعمة العقل . نعمة الايمان والاسلام نعمة الأمن . نعمة الصحة . نعمة الولد . نعمة الرزق . نعمة السمع . نعمة البصر نعمة الذوق . نعمة اللمس . نعمة الشم . نعمة سلامة الأعضاء . نعمة التوفيق . كيف تعرف نعمة التوفيق لمن منحها . كيف يعرف الناس من وهب التوفيق . طريق الحصول على نعمة التوفيق . نعمة تسخير الله للانسان ما في الأرض من حيوان وجماد وماء وهواء وغير ذلك مما لا سبيل إلى حصره وعده

شكر النعم التقرب بها إلى الله . توفيق العبد الى الشكر نعمة تستوجب الشكر أيضاً فالعجز عن أداء شكر النعم شكر .

قال الله تعالى « وفي أنفسكم ، أفلا تبصرون ؟

... لقد غمر الله الناس بوافر نعمه ، وجزيل احسانه وكرمه ، وكان ينبغي

في نظر العقل أن يقابلوا إحسان مولاهم بالشكر والعرفان ، بدل أن يقابلوه بالاعراض والكفران . لأن نعم الله عليهم لا يحيط بها العد ، ولا يفي بشكرها أحد فما ألأم الانسان ، وما أكرم الرحمن .

فكم من نعمة لله على عبد شاكر وغير شاكر . وفي مقدمة هذه النعم نعمة العقل . وهي قوام جميع النعم . وبها يكون الانسان إنساناً ، فقد ورد . لكل شيء دعامة . ودعامة عمل المرء عقله . فبقدر عقله تكون عبادته لربه . أما سمعتم قول الفجار ( لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير ) .

وقال أنوشروان لبزرجمهر . أي الأشياء خير للمرء . قال : عقل يعيش به قال : فان لم يكن ، قال : فاخوان يسترون عيبه . قال : فان لم يكن . قال : فمال يتحبب به إلى الناس ، قال : فان لم يكن ، قال : فعيّ صامت قال : فان لم يكن . قال : فموت جارف .

ونعمة الايمان والاسلام التي نظمته في سلك خير الأمم . وهي الأمة المحمدية قال الله تعالى : ( إن الدين عند الله الاسلام ) ( ومن يبتغ غير الأسلام ديناً فلن يقبل منه . وهو في الآخرة من الخاسرين ) .

ونعمة الأمن . وهي أعظم نعمة بعد الايمان . إذ لا يطيب عيش ولا تهنأ حياة ولا تلذ معيشة من غير أن يكون الانسان آمناً في بلاده . أو في داره . على روحه وماله ، غير مهدد بالموت أو الخوف من أي عدو كان .

ونعمة الصحة . وهي من أعظم النعم التي دونها نعمة الثروة والمال وكل عرض من أعراض الحياة . إذ ما فائدة المال وسعة الجاه لمن كان معتلا في صحته ! ! تنتابه الأمراض والعلل . ويرى مباهج الحياة فلا يشعر لها بلذة . بل تذوب نفسه حسرات على عدم استطاعته التمتع بها . فاذا أكل أكلا شهياً تألم منه فأعقبه بالعقاقير

الطبية . وهرع إلى الأطباء مستغيثاً لينقذوه من هذه الأكلة . وإذا مسه قليل من البرد لازم الفراش أياما ، فهو من نفسه فى شقاء . وأهله من حوله فى نصب وعناء .

ونعمة الرزق : وهي أن يشعر العبد بأن الله تعالى سخر له باباً من حلال يكتسب منه ما يقوم بأوده وأود من يعولهم فى الدنيا من زراعة أو تجارة أو صناعة .

ونعمة الولد إذا رزقه : فيذكر العبد وهو شاكر أن الله تعالى خلق من صلبه نسلا يعبدون الله ويعمرون الأرض ، ويحيا بهم ذكراه على مر الدهور . وقد يكون من هؤلاء الأبناء ولد صالح فينتفع أبواه بدعائه وعبادته .

ونعمة الحواس الخمس : وهى حاسة السمع ، وحاسة البصر ، وحاسة الذوق وحاسة اللمس ، وحاسة الشم .

فحاسة السمع التى يسمع بها الانسان الكلام الذي يدور عليه التخاطب بين الناس فى شئون حياتهم ، فما الكلام إلا هواء يقطعه الفم والقصبة الهوائية والشفتان إلى أحرف تؤلف ألفاظاً هي الكلام . كما يدرك بها ما تناسب من الأصوات . كالغناء والموسيقى وتغريد الطيور وكل ما تتاح الى سماعه الطبيعة البشرية وتلتذ به ، ويدرك بها ما تنافر من الأصوات . كأصوات الحمير والرعد وما إليهما من كل ما تنفر من سماعه الفطرة الانسانية السليمة وتتألم به .

ولو فرضنا وكان الناس جميعاً صما لعانوا مشاق جسيمة في إفهام بعضهم بعضاً مطالب الحياة ومصالحهم الاجتماعية .

والنظر إليك الآن وأنت تحادث أصم . فانك تلاقى من هذا عناء ، فتستعين بالاشارة تارة وترفع الصوت عالياً تارة أخرى فتعلم يقيناً أن حاسة السمع

هى السبيل إلى فهم الناس مقاصد بعضهم ، ولولاها لتعطلت شئون الحياة أو كادت ، ولعل هذا هو السر فى تقديم السمع على البصر دائماً فى القرآن الكريم إذا جمعت نعمة السمع والبصر فى آية .

يقول الله تعالى : ( إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا ) « والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون »

كذلك إذا وصف الله سبحانه وتعالى نفسه بهاتين الصفتين فهو مقدم السمع دائماً على البصر . فيقول : « إنه هو السميع البصير »

وحاسة البصر : هى الحاسة التى يبصر الأنسان بها الأشياء على حقيقتها وألوانها وأشكالها وأحجامها وأوضاعها وسطوحها ويميز بها النور من الظلام والحركة من السكون .

ومن نعم الله على العبد أنه خلق فى الرأس منه مكانا خاصا تحفظ فيه صور المرئيات التى يراها الأنسان ، فاذا أراد استرجاع صورة مما رآه طلب إلى هذه الخزانة إرجاع هذه الصورة إلى الخيال فيردها إليه فيتخيلها مرئية بعين الخيال كما رآها من قبل بعين المشاهدة .

وحاسة الذوق : هي الحاسة التى يميز الانسان بها الطعوم ، فيأكل شهيها . ويعاف رديئها ، وبادراك هذه الطعوم المختلفة فيما يتناوله الانسان من فاكهة أو خبز أولحم أو غيره ، وتميز بعضها عن بعض ، وتلذذه بما يوافق ذوقه ، ونفوره مما يخالفه ، كل هذا نعمة من نعم الله عليه يشعر بالاغتباط بها .

وحاسة اللمس : هي التى يدرك بها الانسان الحرارة ، والبرودة ، والخشونة والملاسة ، والصلابة ، واللين ، والرطوبة ، واليبس ، والثقل ، والخفة .

وحاسة الشم : هي الحاسة التي يميز بها الانسان الروائح الكريهة ، من الروائح الطيبة . وقد ثبت علمياً أن لكل شيء رائحة تتميز عن روائح سائر الأشياء ، كما ثبت أن حاسة الشم تتفاوت فى الحيوان ، فيدرك بعض الحيوان مالا يدركه الانسان ، حتى إن بعض الكلاب قد امتاز بتركيب خاص فى أنفه ، يعظم الرائحة بمكبرات خلقية فى باطن أنفه . فاذا شم رائحة قدم أو ثوب تعرف عن صاحب هذه القدم أو هذا الثوب مهما اختلط بغيره .

وبهذه الخاصة العجيبة استخدمت الحكومات نوعاً من الكلاب ودربتها على يد مكلبين إخصائيين ، فبرعت هذه الكلاب فى طريقة التعرف على اللصوص والهاربين ، والجناة المجرمين . وأصبحت تؤدي عملا هاما في أعمال الشرطة ، وصار لها شأن عظيم فى الوصول إلى حقائق الحوادث الغامضة . وفى كل يوم نشاهد ونقرأ في الصحف عن آثار هذه الكلاب ، مايثير الدهشة والاعجاب . حتى دعوا بالكلاب ( البوليسية ) .

وفي هذا مايرشد إلى أن الله تعالى أودع فى هذا الكون من آياته الباهرة مايحير الألباب ، وما يدرينا لعل فى أحقر الحيوان أسراراً لم يكتشفها الانسان بعد

ونعمة سلامة الأعضاء : التى بها كمال صورة الانسان وجماله ، يشعر بها صاحبها إذا رأى من أصيب بعاهة من العاهات ، كالعرج والاحديداب والشلل وما إليها من كل ما يقبح الصورة فى نظر الرائى ، لأن كمال الأعضاء يمكن الانسان من مباشرة كل عمل يرتزق منه فى الحياة .

والعيوب الجسمية وإن كانت من الله تعالى إلا أنها لسلامة الكثير من الخلق منها تشوه جمال صاحبها ، وتجعل العيون تنبو عن رؤيته .

وقد يعوض الله سبحانه وتعالى أصحاب هذه العيوب مواهب عقلية تقوم

مقام ماحرمه من السلامة ، فهذا الجاحظ ، والزمخشري ، فيلسوفان من فلاسفة الاسلام ، كانا أعرجين حتى قال بعضهم : لولا الأعرجان ، لضاعت بلاغة القرآن وقد تركا مؤلفات زاخرة بالحكمة والنظر الصحيح ولم يبلغ شأوها الكثير من علماء المسلمين ، ممن كملت أعضاؤهم ، وتمت لهم سلامة الجوارح .

ومن أفضل النعم على الانسان ، نعمة التوفيق والهداية إلى الرشاد ، فمن منح هذه النعمة كان من السعداء حقاً ، ومن حرمها ( والعياذ بالله ) فانه قدحرم الانتفاع بجميع أنواع النعم .

وهذه النعمة يعرفها الانسان من نفسه كما يعرفها الناس منه ، أما معرفته لها من نفسه ، فذلك بأن يرى فى قلبه إنشراحاً وبسطاً وسروراً إذا همّ بفعل الخير والطاعات ، فيجد في قلبه برد الراحة والفرح عقب أداء الصلاة والزكاة وما إليها من التكاليف الشرعية ، وعقب إسداء الاحسان إلى مستحقيه ؛ وبالجملة يشعر بالغبطة كلما عمل عملا من أنواع البر والتقوى .

وأما معرفة الناس لذلك منه ، فهو أن يعرف بينهم بالصدق فى قوله وطهارة الذمة والأدب الدينى مع الخلق ، كما يشاهدون منه بشاشة يمازجها لين ورفق واطمئنان ، فان هذه الصفات من صفات المؤمنين ، فمن منحه الله هذه النعمة « نعمة التوفيق » فقد ظفر بسعادتى الدنيا والآخرة .

ولا تدرك هذه النعمة إلا بالرجوع إلى الله . والوقوف عند حدود الله وتبرئ العبد من حوله وقوته . إلى حول الله وقوته . فانه لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

ومن النعم العظيمة نعمة تسخير الله للانسان مافى الأرض من حيوان وجماد وماء وهواء . وغيرذلك مما لاسبيل إلى حصره . وقد عرفنا بذلك رب العزة

حيث يقول : ( وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها . إن الانسان لظلوم كفار )

ومن حق هذه النعم وغيرها على العبد ألا يستعملها إلا فيما يقربه إلى الله زلفى . ويبعده عن مهاوي الضلال . شاكراً لله عليها . مؤدياً بشكره حقها. وإن كان هذا الشكر نفسه نعمة يجب عليه شكرها .

نسأل الله تعالى أن يتم علينا نعماءه السابغة . ظاهرة وباطنة . وأن يوفقنا إلى العمل بأحكام الدين لنفوز بسعادة الدنيا وسعادة الآخرة . ونكون من عباده المتقين . وندخل الجنة بفضله وكرمه مع الداخلين .

## (٣٩) شكر المنعم

شكر الله على نعمائه من أهم الواجبات ، الشكر تزيد به النعم ، وتستدفع به النقم . للشكر سبل شتى وبيان ذلك . الشكر على الحواس والجوارح كل فيما يناسبه . شكر الناس للناس . وجوب شكر المنعم من الخلق قياساً على شكر الله لجريان النعمة على يديه . حكاية حال تبين زوال النعم بفقدان الشكر . شكرك لمن هو أعلى منك . شكرك لمن يساويك . شكرك لمن هو دونك . ثمرات الشكر بين الناس . حكاية حال في ذلك . شكر المنعم يستوجب المزيد ودليل ذلك .

حكاية الله لقصة مكة وما تمليه من العبر وكيف كان جزاء كفرانهم لنعم الله عليهم . الوصاة بالشكر على تنوعه .

قال الله تعالى : فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون .

... إن من أهم الواجبات التي لابد منها لمن يطمع أن يكون من المتقين الذين خصهم الله بكرامته ورضوانه أن يشكر الله تعالى على نعمائه ، وأن يعرف قدرها ويؤدي حقها ، فأوجب الشكر شكر الله تعالى ، لأنه أفاض النعم على الانسان

من حيث يعلم ومن حيث لا يعلم ، حتى حارت العقول في وصف بعض نعمه والاحاطة بشيء من فضله .

وليس شكره تعالى ثمناً لنعمه ، وإنما هو للاستزادة من فضله ، وطلب المزيد من كرمه ، قال تعالى : ( لئن شكرتم لأزيدنكم ، ولئن كفرتم إن عذابي لشديد )

ولشكر الله سبل مختلفة وأنواع متعددة منها شكره باللسان ، فنذكره بالخير ونثني عليه ، ونكثر الحمد والمدح له ، ويدخل فيه التحدث بالنعم وإظهارها ونشرها . قال الله تعالى : « وأما بنعمة ربك فحدث »

ونشكره بالجوارح الأخرى ، بأن تستخدمها فيما خلقت له من عمل صالح فاليد تعمل وتعطى ، وتساعد الضعيف ، ولا تسرق ، ولا تؤذي .

والقدم تسعى فى طلب الرزق وأعمال البر ، من جهاد ، وحج ، وعيادة مرضى ، ولا تمشي فى مكروه يصيب الناس.

والعين تنظر الطريق للخير لتتجه إليه ، وتتقى الشر ، ولا تتفتح لعيوب الناس وعوراتهم .

والأذن تصغى لما يفيد ويعين على الطاعة كسماع القرآن والمواعظ والعلوم وما فيه خير ومنفعه ، ولا تصغى إلى الغيبة والكذب والوشاية .

وهكذا يكون لكل نعمة حقها الذى يناسبها من الشكر عليها بالعمل الطيب وتجنب الخبيث الذي نهى عنه الدين ، ومن أجل هذا يكون شكر ( المال) صرفه في أعمال الخير . وشكر ( العلم ) إذاعته بين الناس . وشكر (الصحة) الاستعانة بها على نفع الناس ودفع الأذى عنهم . وشكر ( الجاه والحسب ) مساعدة الضعفاء فى قضاء حاجتهم المشروعة .

وعلى الجملة فشكر الله تعالى هو أن تكون لأوامره ممتثلا ، ولنواهيه مجتنباً وأن تسعى في إصلاح نفسك وأهلك وقومك ، وألا تدع خيراً تستطيعه للناس إلا قدمته ، ولا شراً تقدر دفعه عنهم إلا دفعته ، هذا هو شكر الله الحقيقي لا أن تقول كلمات بلسانك ، ليس لها دليل من أعمالك .

والشكر المتعارف بين الناس هو إظهار النعمة والتحدث بها ، وبسط اللسان بالمحمدة والتعظيم للمنعم بها ، والتنويه بذكره ، ورفع قدره .

وقد انعقد الاجماع على وجوب الشكر للمنعم عقلا وشرعاً ، وأن من أنعم أحد عليه وأحسن إليه ولم يحمد ذلك المنعم ويشكر ذلك المحسن يكون جديراً بأن يحكم عليه بلؤمه وحساسته . وأن يسلب النعمة . وينقطع عنه مددها .

ولقد أنصف بعض بني أمية . وقد سئل بعد زوال ملكهم . ما كان سبب هذا الحادث المجحف بكم . والبلاء النازل عليكم ؟ فقال : قلة شكرنا لله تعالى على ما أنعم به علينا . واشتغالنا بلذتنا عن النظر في مصالحنا وتفويضنا أمورنا إلى من لا دين له ولا أمانة عنده . وظلم نوابنا لرعايانا وغفلتنا عنهم . ففسدت علينا النيات . واختلت علينا الجند لقلة عطاياهم . فاستدعاهم أعداؤنا فأجابوهم وأعانوهم علينا . واستترت علينا الأخبار . لقلة الأنصار . فآل أمرنا إلى ما آل

ويكون الشكر للآباء . والمربين ومن في منزلتهم . ولمن في منزلة الانسان ولمن دونه .

فيكون للآباء والمربين في منزلتهم . باحترامهم ومحبتهم . والاعتراف لهم بالتأديب والتربية ومساعدتهم عند الحاجة . ولقائهم بالبشر والسرور . إذ هذا أقل ما يجزون به على ما أسدوا من معروف لا كفاء له .

ويكون لمن في منزلة الانسان بالمكافأة بمثل فعله أو خير منه . فاذا أهدى

إليك إنسان شيئاً كان شكره أن تهدى إليه مثل هديته أو أحسن منها . وإذا أعانك فى ضائقة كنت له عدّة في مثلها .

ويكون لمن دونك بالعطف والأجر . فالفقراء أكثر ما يكونون رغبة فى الثواب من مال ونحوه دون عذب القول وجميل الشكر . لأن حاجتهم للمال أشد ورغبتهم فيه أبلغ . على أن فى بعض الفقراء من كبرت نفوسهم . وعظمت هممهم وشرفت مقاصدهم . فهؤلاء يطربهم الحمد ويزدهيهم الشكر ويبلغ من نفوسهم مالا يبلغه المال .

ومن ثمرة الشكر أن تتم به الألفة بين الشاكر والمشكور . وتتوثق المحبة بينهما قال رجل لرجل شكره فى معروف أسداه إليه :—

لقد نبتت فى القلب منك محبة * كما نبتت فى الراحتين الأصابع

واصطنع رجل رجلا فسأله يوماً أتحبنى يا فلان ؟ قال نعم . أحبك حباً لو كان فوقك لأظلك . أو كان تحتك لأقلك .

وكما أن شكر المنعم يستدرّ أخلاف الازدياد — فكذلك كفران النعم يعرضها للزوال والنفاد . ويلبس جاحدها ثوب نكران المعروف بين العباد .

وقديماً خص بالازدياد من شكر . وحل الحرمان بمن كفر « لئن شكرتم لأزيدنكم . ولئن كفرتم إن عذابى لشديد »

وفي قصة مكة وحال أهلها عبرة لمن استبصر . وموعظة لمن تذكر . فان الله تعالى لما أفاض على أهلها سوابغ نعمه . وجعلها بلداً آمناً وشرفه فوسمه بحرمه . ومنحهم من لطائف رفده فضلا ومناً . وأوسعهم غاية مرامهم غنى وأمناً . فقال فى كتابه العزيز « أو لم نمكن لهم حرماً آمناً يجبى إليه ثمرات كل شيء رزقاً من لدنا » ثم بعث من بينهم محمداً ﷺ رسولا من أنفسهم فدعاهم

إلى الايمان . وتلا عليهم القرآن . وأمرهم بالمعروف . ونهاهم عن المنكر . وحضهم على صلة الرحم . وحثهم على مكارم الأخلاق فكذبوه وكفروا نعمة الله التي أنعمها عليهم . لما قابلوا هذه النعم كلها بالكفران . سلط عليهم أنواع الانتقام . وضرب بهم المثل لذوى الافهام . فقال سبحانه وتعالى ( وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ، ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون )

فاشكروا الله تعالى على ما أعطاكم من فضله ، واشكروا للناس على ماصنعوا إليكم من خيرهم ، وكافئوهم إن قدرتم على ذلك . فقد ورد : لا يشكر الله من لا يشكر الناس . وفقنا الله تعالى للشكر بالعمل والقول إنه على ما يشاء قدير

## (٤٠) أثر القناعة والطمع فى حياة الناس

مضمون الآية الكريمة . قليل فى قناعة خير من كثير فى طمع . الأرزاق مقسومة ودليل ذلك من القرآن . أثر القناعة فى النفس والمال والأبناء والدعاء . غواية الشيطان أثرها أكل الخبيث والاستهانة بأوامر الله تعالى وشقاء الأبناء وعدم إجابة الدعاء وغير ذلك . إشادة القرآن والسنة بفضل القناعة . القناعة وثمراتها . الطمع ونتائجه . نظر الحكيم العاقل في هذا الموقف . عاقبة الطمع .

---

قال الله تعالى : يأيها الذين آمنوا كلوا مما في الأرض حلالاطيباً ولاتتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين .

. . . فى هذه الآية الكريمة أمرنا الله تعالى بأن نأكل حلالا ، ونشرب حلالا وأن نصون أنفسنا عن أكل الحرام . كما أمرنا ألا نتبع خطوات الشيطان . لأن متابعة الشيطان توصل إلى عذاب السعير .

ولا يستطيع الانسان أكل الحلال إلا إذا كان قانعاً بما رزقه الله تعالى من طاهر الكسب وطيب العمل ولو كان قليلا ، فان القليل مع القناعة والرضا خير من الكثير مع الطمع والشرة ، لأن القناعة كنز لا يفنى .

ولا ينال المرء فضيلة القناعة إلا إذا راقب الله فى كسبه وعمله . ولم يتطلع إلى ما فى أيدي الناس . عالماً أن الله تعالى قسم الأرزاق بين عباده على وفق مشيئته وفضل بعضهم على بعض فى الرزق . قال جل شأنه : « أهم يقسمون رحمة ربك . نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ، ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات »

فمتى عرف الانسان ذلك وقنع بما رزق الله استراح ضميره واطمأن قلبه وطاب عيشه ، وحينئذ يكون عمله مقبولا ودعاؤه مجابا ورزقه مباركا ، وتكون ذريته أطهاراً لأنهم يأكلون حلالا طيباً .

وأما إذا اتبع خطوات الشيطان الذي يغريه بالتكالب على الدنيا وجمعها من حلال وحرام رغبة فى الغنى والثروة ، لايبالي من أين اكتسب ولا فيم أنفق فعندئذ يكون مثله كمثل شارب الماء الملح كلما ازداد شرباً ازداد عطشاً ، فلا يحصل على أمنية حتى يتطلع إلى غيرها ، فتراه في عناء مستمر ، وتعب دائم لا ينتهى إلا بانتهاء حياته ، وهو فى كل هذه المدة يأكل الخبيث والطيب وأبناؤه على منواله ينبت لحمهم من مطاعم الشبهات وملوّث الكسب ، وكل لحم نبت من حرام فالنار أولى به ، وحينئذ يكون عملهم غير مقبول . ودعاؤهم غير

مستجاب ، ورزقهم ليس فيه بركة ولا خير ، ولا يقف الطمع بهم عند حد . إذ أن الطمع غريزة بشرية لا يردعها إلا الوقوف عند أوامر الله تعالى ونواهيه ولا يدفعه إلا التجمل بفضيلة القناعة .

وقد أشاد القرآن الكريم بفضل القناعة ونهى المؤمنين أن ينخدعوا بالمظاهر الكاذبة فيدنسوا أنفسهم بالحرص والشراهة فقال تعالى :

« المال والبنون زينة الحياة الدنيا ، والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا » وقال جل شأنه : ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى ، وقال تعالى : في صفة الفقراء الأعفاء : يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف ، تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافا »

وكذلك عنى الرسول ﷺ بأمر القناعة فأبان خطرها وحث على التحلي بها فقال : « ليس الغنى عن كثرة العرض ، ولكن الغنى غنى النفس » وقال ﷺ « من سره أن يكون أعز الناس فليتق الله ، ومن سره أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يد الله أوثق منه بما في يده ، ومن سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله » فليتخذ المؤمن لنفسه إحدى هاتين الخلتين : —

الأولى — القناعة : وثمراتها الرضا عن الله فيما قسمه له من الأرزاق . واطمئنان القلب ، وطيب العيش ، والبركة في الآجال والأرزاق والأبناء ، لأن القناعة تجعل صاحبها في مصاف الملوك وإن كان صعلوكا فقيراً ، لأنه غنى عن كافة الخلق بما منحه الله من فضله .

الثانية — الطمع : ومن ثمراته الشره ، والذل ، وارتكاب ما حرم الله أو شباعا لشهوات الدنيا ، كما أن من ثمرات الطمع أيضاً التعب الدائم للقلب ،

وعدم راحة الضمير ، وقد يصل الطمع بصاحبه إلى الاستهانة بالفضائل الأخلاقية والأوامر الالهية ، ويبعده عن الفلاح إذ لا فلاح مع الحرص والشح القاتلين. ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون .

وليس من الحكمة أن يؤثر الانسان الشقاء على السعادة ، والتعب على الراحة والخبيث على الطيب ، فليتصور الانسان حقيقة موقفه فى الدنيا ، وأنه عما قليل تاركها وراحل عنها ، ومسئول عن جهاده فيها ، جامعاً لحطامها « وقلما يخلو جمعها من أوزار » فمن لم يتدارك أمره وهو فى الدنيا فيطعم من حلال ويشرب من حلال ، فقد جرّ على نفسه حسابا أليماً في سبيل تمتع غيره بما جمعه ، ولاخير في جهاد عاقبته الحسرة والندامة ، فأخسر الناس صفقة من باع آخرته بدنياه . وأخسر منه من باع آخرته بدنيا غيره .

جعلنا الله تعالى بفضيلة القناعة وباعد بيننا وبين الطمع الذي تسوء مغبته وعاقبته ، إنه هو الموفق للصواب ؟